المركز العربي الألماني
Deutsch Arabisches Zentrum

تأريخ الثورة الكوبية
1962 - 1953

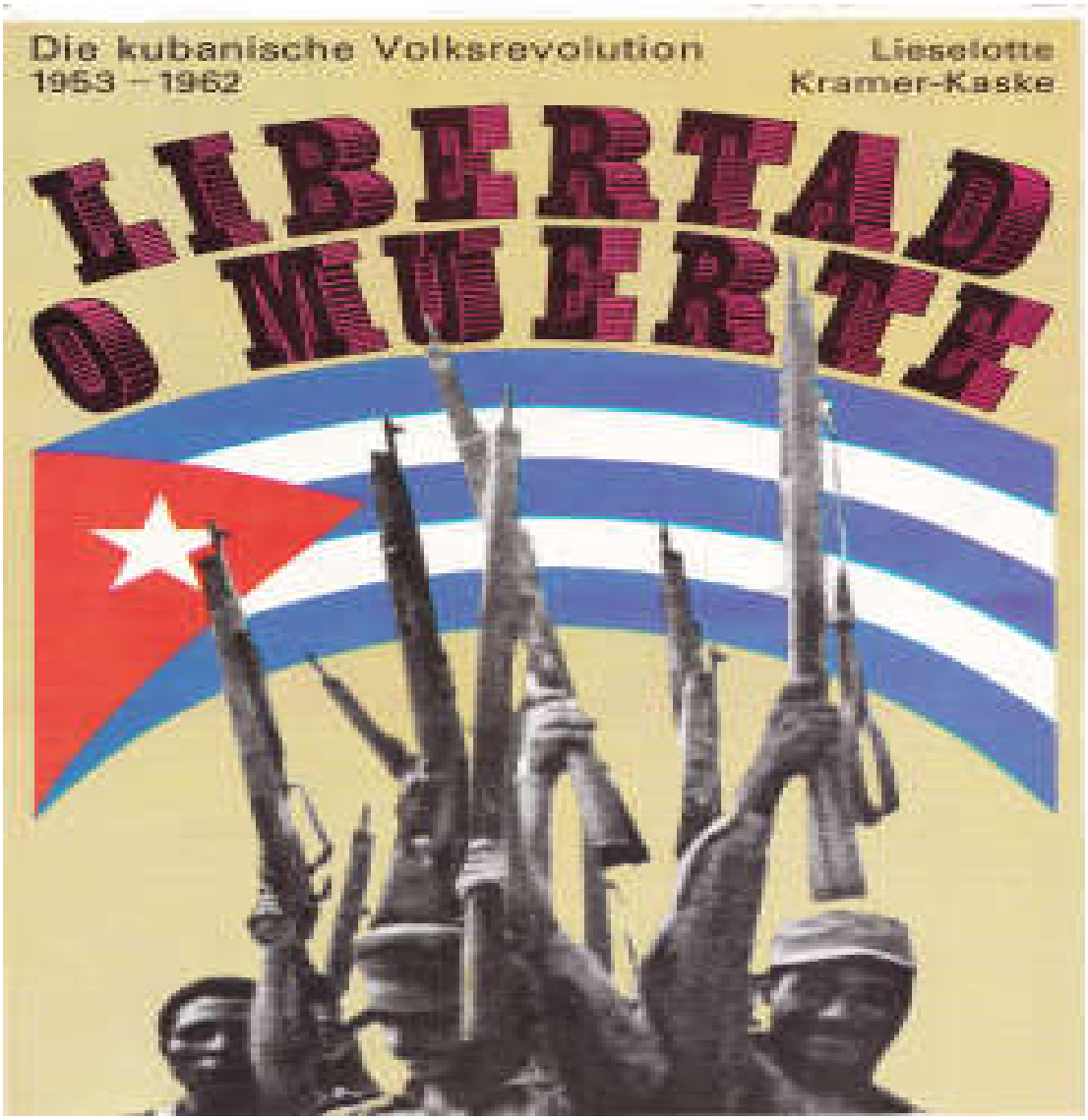

د. ليزالوتا كراما كاسكا

ترجمة : د. ضرغام الدباغ

برلين . 2016

المركز العربي الألماني
Deutsch Arabisches Zentrum

عنوان الكتاب الأصلي : تأريخ الثورة الشعبية الكوبية : 1953 - 1962
Die Kubanische Volksrevolution : 1953 / 1962

مؤلفة الكتاب : الدكتورة ليزالوتا كرامر كاسكا
Dr. Lieselotte Kramer Kaska

دار النشر : دار النشر الألمانية للعلوم / برلين - 1980
VEB Deutscher Verlag der Wissenschaft, Berlin

صادرة عن المعهد المركزي للتاريخ في أكاديمية العلوم الألمانية الديمقراطية
Herausgeber : Zentralinstiutut für Geschechte der Akademie der Wissenschaft der DDR

(الصورة : الغلاف الأصلي للكتاب)

الطبعة الثانية صادرة عن
المركز العربي الألماني / برلين 2020

المطبوع مجاني
الرقم : 35

الفهرس

* مقدمة المترجم
* مدخل
1. الإنزال " غرانما " والمسيرة نحو سيرا ماستيرا.
2. مرحلة القبائل.
3. من العصابات إلى جيش الثورة.
4. تأسيس الجبهة الوطنية الموحدة.
5. أنتصار الثوار.
6. النضال من أجل إقامة سلطة الشعب.

ملحق 1. تشي غيفارا ومصرعه البطولي

المقدمة

كوبا، بلد لم يكن (حتى انتصار الثورة) أكثر من مكان لاستراحة الأثرياء الأمريكان في عطل نهاية الأسبوع، يشخصون إليها بطائراتهم الخاصة وبيخوتهم، ليلعبوا القمار ويمارسون الدعارة، في بلد تعتصره الفاقة، والأمية، وسائر الأمراض الاجتماعية، بل فاقداً حتى لشخصيته الوطنية بالكامل، وحكومته ليست سوى كركوزات، وألعاب دمى تدار بالهاتف من السفارة الأمريكية، حكومات ديكتاتورية، لم تكن لتقوى أن ترفع خنصرها بوجه الغول الذي لا يكتفي بمص دمائها، بل وتمنع تقدمها في أن تكون دول محترمة لشعب محترم، ليواصل دون توقف أو نهاية / استغلالها، ونهبها، وإذلالها وإهانتها، وهذا الموقف يخلق مسألة وطنية، مما يمنحها طابعاً خاصاً للثورة الوطنية، لدولة / جزيرة كانت مهمتها ترفيهية للغول الإمبريالي القابع على بعد 80 ميل ليس أكثر ...!

ويحدثونك عن التحرر....
مهمة الثوريين ليست سهلة، فهم يواجهون معسكراً طويلاً عريضاً من الأعداء، وأسوئهم هم أعداء الوطن في الداخل، فهم يمتلكون لون بشرتك، ويتحدثون بمفردات لغتك، ويمتلكون جنسية بلدك، ويسهل عليهم الغش والاختفاء، والعدو الخارجي يستهدف هذه الفئة ويضمن ولاءها والعمل لصالحه بسهولة، وبهذه الفئة تسهل عليه (نسبياً) اقتحام **مجتمعات البلدان النامية بصفة رئيسية بوصفها مجتمعات هشة، ليست هناك متكونات نهائية صلبة، وحتى الأحزاب السياسية فيها حديثة التجربة، رؤيتها وتحليلها للواقع السياسي / الاجتماعي / الاقتصادي يتفاوت بين الرؤية العقائدية المدرسية / ونصوص مقدسة، تعوزها الواقعية الوطنية والقومية، أو حركات سياسية تقودها فئات عليا، أو ديكتاتوريات معادية للشعب، ممن لا تختلف ولا تتناقض مع العدو الخارجي جوهرياً، بل في سطحيات العلاقة السياسية / الاقتصادية.**

الأطماع الأجنبية، والنهب بلا توقف للبلدان النامية، النهب حتى الرغيف الأخير ... شراهة لا حدود لها، والعدوان واسع الأبعاد يبلغ أعماق الإنسان، في محاولة لألغاء كيانه وتحويلة إلى حيوان إنتاج لصالح الأحتكارات العملاقة. وتبلغ محاولات الإلغاء وطنيته، وقوميته ودينه، ولغته وتقاليده، وكل ما يختص به ويميزه، في محاولة لإلغاء هذا التميز، وإلغاء ما يتصل به. وتزداد الإمبريالية الجديدة في عصرنا الرهن (العولمة) شراسة في إلغاء تام لكل الخصائص الإنسانية، ويتحول إلى رقم ليس إلا ..!

الوطني، المناضل الشريف الذي يريد أن يمنح بلاده أملاً بالغد، كينونة محترمة، أن لا يكون منجم مواد الخام، وسوق لتصريف السلع، ولا جرم صغير يدور في فلكهم، عندما يجد نفسه وبلاده وغده ومستقبله مكبلاً بقيود وسلاسل سياسية واقتصادية وقانونية، سيرفض هذا الواقع الذي لا يتعامل معه إلا على أنه من أصغر الكينونات، وأن شجرة كاكاو أو بئر نفط أثمن منه بكثير، سيغضب، وعندما يناله سياط القمع سيفكر أن الرفض لوحده لا ينفع، بل هو يصب

في طاحونة تحرسها نلك القوة المتجبرة المتسلطة، فيذهب إلى الثورة مجبراً وليس مخيراً، ثم يتخذ أشد المواقف جذرية، لأنه بالتجذر يستطيع أن يضع جذور نهضة جديدة. وبلا جذور فلربما تقتلعه نسمة عابرة وتقذف به بعيداً ..!

وربما سينال الإنسان الثائر أذى كبير في طريقه الصعب، وربما يدفع حياته ثمناً لتوكيد ذاته، **الخطر مع الحرية، أفضل من العبودية في الأمان**، ولكن ماذا كان سينال إن أرتضى أن يقف خلف الأبواب الموصدة دونه ..؟ الثائر لا يستطيع أن يتجاهل جرحه النازف، الثائر لا يستسيغ لقمة يعلم أنها ملوثة ... الثائر إنسان شريف لذلك لا يستطيع الهوان ولا يطيقه، ولذلك يخرج ممتشقاً سلاحه يدافع عن شرفه الشخصي والوطني .. لذلك فالثائر هو إنسان يمتلك القدرة أن يتجاوز نفسه ومشكلاته الشخصية ليحلق في فضاء أرحب، ولذلك فهو إنسان راق ... طليعي، يعرف بلاده، والبلاد تعرفه، في حب واحترام متبادل ...

شهدت كوبا وعياً مبكراً، وهو ما أثبته دورها التاريخي في أميركل اللاتينية. كوبا ليست أكبر البلدان مساحة، فهناك البرازيل، والأرجنتين، وكولومبيا، وهي ليست أثرى البلدان، ولا أكثرها سكاناً، ولكن الظروف التاريخية اجتمعت في كوبا قبل غيرها، ربما بسبب الاحتكاك الأقرب مع الولايات المتحدة، ربما النهب الأوضح لاقتصادها (تنتج كوبا : النيكل، الكوبالت، السكر، التبغ، السياحة)، إضافة إلى مستوى طيب تاريخياً من التعليم ، وظروف نشأة حركة وطنية مبكرة، كما كانت الصدامات المبكرة مع السلطات الديكتاتورية والعميلة، سبباً في تكوين أرث نضالي ثوري، يدفع إلى الأعلى، والأمام، وهو ما أنضج ظروف حركة ثورية مسلحة منذ أواسط الخمسينات.

ومن المؤكد أن الشروط والظروف قد توافرت لنجاح الثورة، وليس أدل على ذلك من :

1. ضعف امكانات الشبان الوطنيين.
2. قلة عددهم.
3. ضعف التسليح.
4. سرعة عمل الثورة وتحقيقها لهدفها بالنصر الأكيد

هذه المؤشرات الواضحة المادية لنجاح الثورة، يقابلها شروط ذاتية يبدو أنها كانت متوفرة من حيث:

1. شخصية قائد الثورة الرئيسي (فيدل كاسترو).
2. عدد من المساعدين الأكفاء، تشي غيفارا كاميلو سينفويغوس، راؤول كاسترو.
3. الاختيار السليم لمناطق فتح الجبهات.
4. إدارة سليمة للمناطق المحررة.
5. بساطة الشعارات الثورية، التي تقبلت في صفوفها كل المعادين للنظام الديكتاتوري.
6. عدم الانغماس في موضوعات آيديولوجية عميقة، مسببة للجدل والصراعات الفكرية.

العدو (عدو الثوار) ساعدهم من حيث لا يدري في نضالهم، الحكم الديكتاتوري هو حكم طغياني، وهو حكم فاسد من أعلى ذروة الهرم وحتى قاعدته، ونظام كهذا لن يكسب المثقفين والأذكياء، والشجعان، والشرفاء، وقد يكسب موقتاً بعض الأنتهازيين والمتساقطين، ولكنه لا يكسب الشعب. فالشعب يمكن أن يخدع حيناً أو أحياناً، ولكنه لا يفسد أبداً ....

فيديل كاسترو أنتصر، وها هو يقود شعبه نحو منجزات، أختفت نوادي القمار وبيوت الدعارة، بل هناك كوبا شامخة دولة اشتراكية رائدة على مبعدة 80 ميل عن الشاطئ الأمريكي ...

أرنستو غيفارا (تشي)، صار رمزاً لا يمحوه الزمن لملايين من الشباب في العالم، لكل من يطمح بالحرية لابد أن تشحنه كلمات غيفارا : **" إذا كان مصير شعب ما مطروح، فما هي قيمة حياة الفرد ..."**، ففي لحظة تاريخية في حياة الثوري، يرى فيها ويقتنع مادياً، أو روحه ما هي سوى قطرة في بحر بلاده ... في نهر الثورة الخالد الذي لابد أن يواصل الجريان ... فيقدم روحه بسعادة طاغية وفرح للأعظم، للأكبر، للأكثر بقاء ... للوطن المفدى، فيصبح نجمة في سماءه ... نجمة لا تغيب ولا تنطفئ ... فهنيئاً لمن بلغ هذه المرحلة ... ومنهم غيفارا

تحية كبيرة لشعب كوبا
الظفر لكل شعوب العالم من أجل التحرر
سلام لقادة ومناضلي الشعب والوطن
الخزي والعار والشنار للخونة والجواسيس وعملاء الاجنبي والسراق والمرتشين.

ضرغام الدباغ

مدخل

لم تكن مزرعة ديبوني (Diboney) لتبعد أكثر من 15 كيلومتراً عن سانتياغو دي كوبا، كانت الليلة السابقة ليوم 26 / تموز - يوليو / 1953 كان موعد اللقاء ل150 من الشبان الكوبيين الوطنيين، الذين كانوا يستعدون منذ أشهر، ليستولوا بقوة السلاح على مونكادا(Mooncada) التي هي أقوى ثكنة عسكرية في البلاد.

وكانت هذه العملية وكما قدر مخططوها لها وتتألف من جماعة شباب (تنظيم غير شرعي)، انتفاضة شعبية ستنطلق من سانتياغو ضد نظام فولجنسيو باتيستا المكروه من الشعب، ومن خلال سيطرتهم على المعسكر سيستولون على الأسلحة الضرورية لانتفاضتهم المسلحة. وقد أختيرت سانتياغو عاصمة ولاية أورينتا (Oriente) المعروفة بتأريخها وتقاليدها الحافلة بالنضال المسلح من أجل الاستقلال والتي ما تزال ذكراها حية تنبض في نفوس الجماهير، ولأن عاصمة ومقر قوة نظام باتيستا يبعد 900 كيلومتر عنها، وبهذا سوف لن يكون بوسع السلطة إرسال تعزيزات عسكرية سريعة، وأختاروا الوقت والتاريخ لأن الاحتفالات الشعبية التنكرية (كرنفالات) تقام في هذا الوقت، ويأتي إلى المدينة الألاف من الزوار وسيسهل على الثوار الشبان أن يختلطوا مع الناس.

(الصورة : الديكتاتور فولنجسيو باتيستا)

وتحت إجراءات أمنية قاسية، كان فيدل كاسترو الذي أصبح قائداً للشبان الوطنيين الكوبيين المعارضين، وشقيقه راؤول، وآبل سانتاماريا، وآخرون المشاركون : من الطلاب، العمال، وعمال يدويين(حرفيين)، وعمال مزارعون، الذين حضروا إلى سانتياغو ومعهم الأسلحة المخبأة في سيارة.

كان راؤول منظماً إلى الحزب الاشتراكي الشعبي (الحزب الشيوعي الكوبي)، وآخرون كانوا نقابيون، والأغلبية منهم كانوا إلى الجناح الثوري في الحزب البورجوازي الصغير " الحزب الاثودوكسي " وهم يوحدون بهذا النضال الوطني، وبطلهم خوسيه مارتي (Joce Marti) المؤسس لحركة الطلاب والحزب الشيوعي الكوبي. خوليو أنطونيو ميلا، آبل سانتاماريا، كما كان بينهم في المجموعة فتاتان، الشقيقتان : هايدي سانتاماريا، وميلبا هيرناندز.

في الساعة 5,15 ابتدأ شن الهجوم بقيادة كاسترو على ثكنة المونكادا. فيما كان الهجوم قد ابتدأ من قبل مجموعة أخرى على ثكنة بايامو التي تبعد 100 كيلو متراً. والمجموعة التي شنت الهجوم في المونكادا، وبالصدفة وقبل أن يصلوا البوابة الرئيسية، اضطرت المجموعة للاشتباك بالنيران إذ انتبهت الحراسات وأطلقت الإنذار، وأحبطت تقدم لم ينجز مهامه، وحوصرت المجموعة، والقي القبض على غالبية الشبان.
والمجموعة الثورية الأخرى التي نجحت باحتلال المستشفى وقصر العدل، وكان بينهم فتيات، اضطروا إلى إخلال قصر العدل، ثم أقدم الجنود على مجزرة بحق من ألقوا القبض عليهم من الشبان، ولم ينجو منهم سوى الفتاتان، وبعض الشبان بادر نزلاء المستشفى إلى إنقاذهم. وفي المونكادا، قتل أبل سانتاماريا، فيما تمكن راؤول كاسترو من الاختفاء في المدينة لوقت طويل، ولكن ألقي القبض عليه فيما بعد.
ومجموعة صغيرة بينهم فيدل كاسترو، نجحوا بالهرب إلى الجبال، ولكنهم وبعد أسابيع قليلة كانوا عرضة للأعتقال كذلك. وكان عرض الصور للوحشية السادية التي ارتكبتها عناصر باتيستا في مونكادا قد أدى إلى غضب في كوبا، مما أدى إلى أن يحجم ضباط كاسترو عن قتل كاسترو، ورفاقه ممن ألقي القبض عليهم.
في أكتوبر 1953 عقدت محاكمتهم، وهنا عرض فيدل أفكاره وآراؤه في معرض دفاعه عن نفسه، وفيها عرض برنامج الحركة الوطنية الكوبية التي اختتمها بكلماته المشهورة " إن إدانتكم لن تغير من الأمر شيئاً، ، فإن التاريخ قد أصدر حكمه ببرائتي ".

Fidel Castro and other captured rebels arriving at the Santiago city jail, following his arrest after the failed coup at Moncada Barracks, Cuba, 26th July 1953

(الصورة : فيدل كاسترو أثناء محاكمته في انتفاضة المونكادا عام 1953)

وكما حدث مع خوسية مارتي، حكم عليهم بالأشغال وسفروا إلى جزيرة باينوز، هناك أسس فيدل مدرسة يعلم فيها السجناء الأفكار السياسية.

وإذا كانت حركة 26 / تموز ـ يولية / 1953 لم تنجح، على الرغم من أن كوبا كانت ترزح لسنوات طويلة في أزمة اجتماعية، ومنذ عام 1952 كانت هناك ظروفاً ثورية قد نشأت، لكن الحركة الثورية لما تزل بعد ضعيفة وتعاني التمزق والانشقاق، ولك تكن هناك منظمة موحدة وبقيادة موحدة تمثلها، ولكن انتفاضة مونكادا مثلت نداء للشعب للمقاومة، وبدأت في كافة أرجاء البلاد تتكون منظمات ثورية غير شرعية التي اتخذت لنفسها أسم " حركة 26 / تموز ـ يوليه " واتخذت جملاً من خطاب كاسترو في دفاعه أمام المحكمة كأنجيل لمناهضي نظام باتيستا.

وهكذا تشكل مركز ثوري يلتف حوله المعارضون لنظام باتيستا، وهنا نشأت قيادة للحركة الوطنية الكوبية.

وبعد " انتخابات " أجريت نهاية عام 1844، مترافقة مع تصاعد أنشطة المعارضة في أرجاء كوبا، الذي أكد فيه الديكتاتور باتيستا رئيساً، أعقبه كما يحدث تقليدياً " عفو عام " وفي أطلق سراح فيدل ورفاقه، وغادروا فوراً إلى المهجر في مكسيكو / المكسيك.

" أيها الرفاق .. بدون فكر فأننا سنخسر كل شيئ، فنحن في غضون ساعات، يمكن أن ننتصر، أو نندحر، ولكن في جميع الأحوال فإن الحركة سوف تنتصر، فنحن إن انتصرنا فإننا سنفعل ما ناضل مارتي من أجله، وإذا فشلنا، فإن الشعب الكوبي سيتخذ من عملنا مثالاً، وسينهض شبان آخرين للقيام به، ويرفعون العلم وسيكونون مستعدين للتضحية من أجل كوبا..... الحرية أو الموت.

من كلمة لفيدل كاسترو في الأمسية التي تسبق الهجوم على ثكنة مونكادا

(الصورة : فيدل كاسترو خلال التحقيق في الهجوم على ثكنة المونكادا عام 1953)

أولاً : الإنزال، " غرانما " والمسيرة نحو سيرا ماستيرا

في 25 / تشرين الثاني - نوفمبر / 1956 تجمع في ظلام الليل في الساعة 2,00 صباحاً 82 من الشبان المسلحين في مكان من المدينة / الميناء المكسيكي توكسبان، لكي يغادروا البلاد بصورة غير قانونية على متن يخت يدعى " غرانما / Granma "، والحارس في الميناء، بفضل "بقشيش" نفحه أياه أحدهم، لم يرى شيئاً.

(الصورة : اليخت التاريخي غرانما)

سرعان ما جاء الشبان بأسلحتهم يضحكون بصخب، وصناديق الخيرة، ومعهم معدات ضرورية ومواد معيشة مهمة، وصعدوا إلى اليخت الذي يتسع في الأحوال العادية 12 شخصاً، كانت الأمطار تهطل بشدة، مع البرق والرياح، ولكن قائد المجموعة فيدل كاسترو أعطى الأمر،" شغلوا المحركات وأقلعوا ".

غرانما المحملة فوق طاقتها بكثير، بالكاد استطاعت مغادرة رصيف الميناء وأقلعت وهي مطفأة الأنوار متخذة سبيلها صوب كوبا. وعلى السطح تعالى صوت النشيد الوطني الكوبي، ونشيد " حركة 26 / تموز"، وكان بينهم طبيب شاب من الأرجنتين يدعى أرنستو غيفارا (Ernesto Guevara) والذي بسبب لكنته أطلق عليه " تشي "(Che)، والمركب يغد السير للنضال من أجل تحرير كوبا من النظام الإرهابي بزعامة باتيستا.

وكانت هذه الرحلة قد واجهت الكثير من الصعوبات، وكلفت الكثير من الجهد والاستعداد، كان يجب توفير الكثير من المال ليتمكنوا من شراء السلاح واليخت. والمشاركون من المقاتلين اختيروا من بين المهاجرين الكوبيين بعناية وسرية، ثم جرى التدريب في مزرعة اشتريت لهذا الغرض، لتكون بمثابة معسكر للتدريب على حرب العصابات. وكل هذا كان ينبغي أن يحدث سرياً لأنه غير قانوني، وكان يخشى خطر عملاء التحقيقات الاتحادي الأمريكي (FBI) وأيضاً رجال باتيستا والشرطة المكسيكية الذين كانا يتعاونان في بعض الأحيان.

في صيف 1956 ألقى القبض على فيدل كاسترو وارنستو غيفارا وبعض الرفاق الآخرين وأمضوا أسابيع في معتقل، ولكن إضراباً قمت به القوى الديمقراطية احتجاجاً اضطرت الحكومة المكسيكية إلى إطلاق سراحهم، وقبل أن تحدث وشاية أخرى، أعطى فيدل الأمر بحركة المجموعة إلى كوبا.

ويبدو للوهلة الأولى، أن الأمر لا يعدو عن مغامرة مجنونة، فكيف سيكون بوسع مجموعة من الشبان أن تأتي من بلاد خارجية إلى بلد مدعوم من الإمبريالية الأمريكية وجيش مسلح لحماية الديكتاتور ...؟

نعم تاريخ بلدان أميركا اللاتينية زاخرة بهذه الأمثلة، ومن أشهر الأمثلة المشابهة التي اشتهرت في أميركا الجنوبية لمناضلين وطنيين في القرن التاسع عشر مثل فرانسيسكو دي ميراندا، سيمون بوليفار، وقبل كل شيئ البطل الوطني الكوبي خوسية مارتي، الذي أطلق النضال ونظمه من أجل الاستقلال، فيما كان الوطنيون مهاجرون وموزعون في الولايات المتحدة، والمكسيك، وفي جزر البحر الكاريبي.
والتضامن بين الأمريكيون اللاتينيون التي نشأت في ظروف النضال المشترك ضد عدو مشترك يتمثل بالنضال ضد الاضطهاد الاستعماري، تمثل هذه المرة أيضاً بمشاركة ثوريين في النضال المسلح من دول أميركا اللاتينية، وهكذا تمثل التضامن بين شعوب أميركا اللاتينية في مجموعة فيدل كاسترو، بمشاركة الأرجنتيني أرنستو غيفارا، ليحي تقليد قديم، وكان نضال خوسية مارتي صورة مثالية ونموذجية للثوار الكوبيين، فقد كانوا يطلقون على أنفسهم " المارتينيون ".
ثم أن الحظ لم يكن يرافق الرحلة، ففي عرض البحر دخلت غرانما في عاصفة، ودوار بحر، وجوع عانى منه الرجال، واليخت الذي كان يتحمل كل هذا، يقترب من كوبا، فيدل كاسترو كان يهدف إلى أن يبلغ السواحل الجنوبية بالقرب من سانتياغو في الثلاثين من نوفمبر ـ تشرين الثاني. ولكن هذا اليوم حل، وغرانما ما تزال تبحر على مبعدة يومين من الهدف على الساحل الكوبي.
وهكذا كان هذا أول إخفاق في خطط المجموعة التي كانت قد أجرت حساباتها في الإنزال في سانياغو في الثلاثين من نوفمبر، وإعلان الانتفاضة. وحيث كانوا على موعد مع فرانك بايس، إحدى الشخصيات القيادية في حركة 26 / تموز والذي كان قد وعدهم بمساعدات مهمة. وكان الشبان الشجعان كانوا قد استولوا على بناية الإدارة، ولكن لم يكن بقدرتهم الاستيلاء على المدينة. وبعد بضعة ساعات من القتال مع رجال باتيستا، اضطروا للانسحاب، وفي نفس الوقت اكتشفت الطائرات من حرس السواحل اليخت غرانما.
في 2 ديسمبر ـ كانون الأول أقترب اليخت من الساحل الجنوبي لكوبا ورسى عند لاس كولوراداس (Las Coloradas) التابعة لمحافظة أورينتا. وجنحت غرانما في الرمال، وغرقت زوارق الإنقاذ فور استخدامها، وكان على المجموعة الانتظار على الساحل، ولم يستطيعوا أن يأخذوا معهم من اليخت سوى أسلحتهم، وبعض المواد الضرورية. وفي غضون كل ذلك تعرضوا لإطلاق نار من طائرة، ومن زورق ساحلي. وعن هذا الإنزال علق راؤول كاسترو، إنه لم يكن إنزالاً، بل تحطم سفينة.
الشريط الساحلي الذي كان على الثوار قطعه وبلوغ حقول قصب السكر التي توفر الحماية لهم، كان عبارة عن مستنقعات وأدغال أشجار المانغروف، الذي مثل لرجال متعبين يعانون من العطش، والجوع، ومن سفرة عاصفة، كجدار من الأسلاك الشائكة وضع في طريقهم.
وبعد مسير أيام بصعوبات تفوق طاقة البشر، تمكنت المجموعة صباح يوم 5 / كانون الأول ـ ديسمبر، من الوصول إلى مساحة تابعة لمصنع سكر، في منطقة تدعى أرليجيرا دي بيو، وهم في نهاية قواهم، فقرر الرجال أن يأخذوا استراحة قصيرة.

وفجأة أندلع زعيق الرصاص، وأنهمر سيل من الطلقات كالمطر على الرجال الذين لم يكن ما يردون به سوى بنادقهم، وعتاد مبلل، وسرعان ما أنظمت طائرة وأخذت تطلق النار من رشاشاتها. سقط نصف رجال المجموعة في هذه المعركة القصيرة تقريباً، وسقط 20 منهم في الأسر، أطلق على البعض منهم النيران فوراً، وقد أتضح فيما بعد أن أحد الرجال ممن يعرفون المنطقة كان قد كشف عن العملية.
في كوخ لأحد الفلاحين، في سفح جبال سيرا ماستيرا، استطاعت المجموعة أن تحط رحالها وتستريح. فيدل كاسترو، وشقيقه راؤول، وارنستو غيفارا، كاميليو سينفويغوس، و 18 من المقاتلين الآخرين، كانوا قد نجوا من العدو،(أي خسروا ستين رجلاً قبل بدء العمل، ومع ذلك لم يفكروا في التراجع ...!/ المترجم) .
تحدث فيدل كاسترو قائلاً : **" لقد أوقع العدو بنا خسائر، ولكن لم يكن بوسعه إبادتنا، سنواصل نضالنا، وسنكسب هذه الحرب ".**
ولكي يفلتوا من ملاحقة رجال باتيستا، قرر الثوار، أن يلجأوا إلى جبال سير ماستيرا، وليبدؤا من هناك حرب الغوار (العصابات) ضد الديكتاتور باتيستا. وكان هذا القرار وفي مثل هذه الظروف الغير اعتيادية، له علاقة وثيقة بالتقاليد الثورية لهذه المنطقة من جزيرة كوبا.
وكانت الخطة الأصلية مرتبطة بعمل مساعد، يتمثل بقيام انتفاضة في مدينة سانتياغو، ليكون إشارة لإطلاق النضال المسلح لإسقاط الديكتاتورية. ولكنها أخفقت، ولكن اختيار محافظة أورينت كمنطلق وقاعدة للنضال، كان ولا يزال وسيبقى صحيحاً. وحقاً تستحق أن تكون " الطريق لتحرير كوبا " إذ كان يكمن فيها ضمير وروح الانتفاضة ضد القمع والاضطهاد والذي ينبض بالحياة.

(الخريطة : خط إبحار اليخت غرانما من المكسيك إلى كوبا)

Gulf of
Mexico
Monterrey
Matamoros
San Luis
Potosí
Tampico
Progreso
Mérida
Yucatan Channel
Querétaro
Tuxpan
MEXICO
Bahía de
Campeche
Puebla
Veracruz
Volcan Pico
de Orizaba
Coatzacoalcos
Oaxaca
Salina
Cruz
BELIZE
GUAT.
HONDURAS
NIC.
HAVANA
Matanzas
Pinar
del Rio
Santa
Clara
Cienfuegos
CUBA
Camagüey
Nuevitas
Isla de la
Juventud
Las Tunas
Holguín
Manzanillo
Bayamo
Guantánamo
Pico
Turquino
Santiago
de Cuba
Caribbean Sea
Cayman
Islands
(U.K.)
Playa Las Coloradas

ثانياً : مرحلة التنقل

في جبال سيرا ماستيرا ابتدأت مرحلة حرب الغوار (العصابات) تلك التي أطلق عليها فيما بعد غيفارا مرحلة التنقل (البدو) مرحلة كان فيها الرجال بتسليح سيئ، وتدريب غير كاف، في حالة مسير دائمية، لكي يتفادوا الجنود الملاحقين لهم، ومن أجل أن تتعود المجموعة حياة محاربي العصابات. وكان الفلاحون يظهرون لهم التعاطف ويبدون الاستعداد أن يبيعوهم بعض مواد المعيشة، ولكنهم لم يدخلوا ميدان النضال الفعلي بفاعلية. فقد كان الفلاحون يخشون رجال باتيستا، من خلال تجاربهم القليلة في العمل الكفاحي السري من جهة، وكان الثوار من جانبهم يخشون أن تفشى أنباء تحركاتهم، لذلك كانوا يلجأون إلى الحركة المتواصلة من جهة أخرى.

ومن أجل الحصول على السلاح والعتاد، والمواد الضرورية، ولضرورة الإعلان عن بدء حرب العصابات من أجل إعلام الرأي العام الكوبي، هاجم الثوار في 16 / كانون الثاني - يناير / 1957 معسكراً صغيراً عند نبع دي لابلاتا في جبال سيرا، والقتال كان ناجحاً وجلب لهم الانتصار الأول، كما كان له تأثيره النفسي الكبير.

سرى بين المقاتلين روح النضال والنصر، فيما أصيب جنود باتيستا بالهلع من الهجوم المباغت. وعلى عكس جنود باتيستا الذين أطلقوا النار على الجرحى وأجهزوا عليهم في المعركة الأولى، كان الثوار يعتنون بالجنود الجرحى، على الرغم من قلة الأدوية لديهم.

هذه الخصائص كانت هامة جداً للثوار في نضالهم، وكانت من جملة نتائج معركتهم ضد هذا المعسكر، سقط الأسير الأول من جنود باتيستا بأيدي الثوار. وأنصب الثأر الذي شرع فيه جيش باتيستا تركز في ضد فلاحين المنطقة، والتي قصفت بشدة أيضاً. كما ابتدأ إرهاب منظم تقوده السلطة ضد الأهليين الذين بدأو يتحولون ويقفون مع الثوار، وأبناء الفلاحين الذين بدأوا يتوافدون على جبال سيرا، ومعهم أسلحتهم وغالباً بالمناجل، وينظمون للثوار.

تدريجياً بدأت تنمو صلات مع منظمات ثورية ووطنية في سانتياغو، وفي هافانا أيضاً من المنتمين إلى حركة 26 يولية ـ تموز. وحضر إلى مقر فيدل شخصيات منها أمثال : فرانك بايس، هايدي، سانتاماريا، أرماندو هارت، كيليا سانشيز، وفيلما أسبين، ، حضروا ليناقشوه (كاسترو) عن مشكلات تعبئة الجماهير من أجل العمل ضد نظام باتيستا. كما أنهم بحثوا في في امكانية توفير السلاح والعتاد، والملابس، والأدوية، وأيضاً النقود. والأهم أنهم التنزموا بأن يوفروا مقاتلين متطوعين لحركة الثورة.

لأن باتيستا كان يؤكد دائماً وأبداً بأن الثوار سوف يبادون، أتصل الثوار بصحفيين مؤثرين من الولايات المتحدة الأمريكية مثل هيربرت ل. ماثيوس (Herbert L. Mathews) من صحيفة النيويورك تايمس، الذي جلب بوسائل التسلل في شباط / 1957 إلى مقر فيدل كاسترو، بعدها نشر ماثيوس مقالاً مثيراً عن " ثوار اللحى " وقائدهم، وكانت المقالة معززة بالصور تؤكد أن حرب الغوار موجودة، وأن الثوار يواصلون نضالهم.

وقد هزت هذه المقالة من مكانة الديكتاتور، وأعطت الثورة دفعاً جديداً في البلاد. وفي الولايات المتحدة بدأ الشباب يتابعون أخبار الثورة في سيرا ماستيرا وأبطالها، وكان القادة السياسيون يرون في الثورة وقائدها المحامي البورجوازي(كاسترو)، وكانوا يرون الخطر في أن تتحول هذه الحركة ,, الغير شيوعية " في المستقبل وبعد انتصارها على الديكتاتورية إلى الاشتراكية ومن ثم إلى الشيوعية.

في أواسط آذار / 1957 تلقت الثورة ما كانت قد وعدت به، خمسون مقاتلاً " جديداً "، ولكن مع مشكلات كبيرة إذ لم يكونوا مؤهلين لتحمل والتلائم مع حياة المقاتلين الصعبة في الجبال والمسيرات الطويلة، وتحمل الجوع والعطش، والحرارة والبرودة، وتقلبات الطقس الاستوائي الممطر طويلاً. أوضح لهم فيدل أن هناك ثلاث جرائم في عمل المغاورين يجب أن يحكم على مرتكبها بالموت : عدم إطاعة الأوامر، ترك النضال بدون أذن، الإخلال بمعنويات المقاتلين.

(الصورة : فيدل كاسترو قائد الثورة في إحدى القواعد)

ولكن أغلب " الجدد " تأهلوا وكانوا يطيعون الأوامر، وأصبحوا مقاتلين جيدين، وهكذا غدت الوحدة قوية تضم 80 مقاتلاً، منظمة جيداً قادرة على القيام بعمليات، وبالنسبة لهم فقد مثل لهم غيفارا رغم مرضه (الربو) المقاتل الذي لا يتعب/ والطبيب المنضبط، في نفس الوقت، وكان المغاور الأول الذي قام في فترات الاستراحة، خلال المسيرات بتعليم أحد الفلاحين القراءة والكتابة.
كانت العلاقات بين الثوار والفلاحين كانت تتسع بمرور الوقت، وفي بيت فلاحي منفرد، أسس فيها المقاتلون قاعدة تموينية، واستطاعوا التعامل مع الفلاحين بشكل رائع، وتأسيس عمل ونظام استخباراتي بمساعدة الفلاحين للأستخبار عن تحركات العدو. وكان غيفارا يعالج النساء والأطفال على الرغم من أنه كان يفتقر بشكل حاد إلى المواد والعدد الطبية في محيط من السكان الفقراء الذين يعانون مختلف أنواع الأمراض.
ولكن السكان الفقراء، الذين لم يسبق لهم أن شاهدوا طبيباً في حياتهم، كانوا يرون في مقاتل العصابات أخ لهم، يبدو عفوياً، على شيئ من السخرية، والمقاتلين بدؤا بدورهم يقفون على حقائق يكتشفونها تدريجياً بإنهم مناضلين من اجل الحرية، وأن أمامهم مهمات إحداث تغيرات جوهرية في المجتمع والشعب.

ويكتب غيفارا أن " الفلاحين في جبال سيرا لعبوا في قرى سيرا دوراً يتسم بالأهمية فقد مثلوا الجناح الفلاحي في الثورة من خلال تعاملهم مع الثوار، الأمر الذي كان يرفع ويتقدم مستوى وعيهم، ليدركوا ما عليهم من واجبات حالياً، وفي المستقبل بعد انتصار الثورة، عند الشروع بإصلاح الريف وهو من أهداف الثورة.
وكان صدامهم بالنيران قد حدث في 27 / أيار - ماي / 1967 في الهجوم على معسكر أوفيرو (Uvero)، ومع أنهم خسروا ستة من المقاتلين، (لقوا مصرعهم) وتسعة من الجرحى، كانت الخسارة كبيرة، ولكن المقاتلين كسبوا الثقة بالنفس، وإحساساً بالنصر، وتقوية روحهم المعنوية، وبالمقابل كانت معنويات جنود الديكتاتورية في انحطاط وتراجع متواصل، وبعد هذه المعركة جرى هجوم على حاميات صغيرة في سفوح سيرا، وإمكن إبادتها. وبذلك فإن الجزء الأعظم من الحبل الكبير أصبح بيد الثوار وأراض محررة لكوبا، وبوسع الثوار التجول فيها بحرية.
هكذا بدأت المرحلة الثانية من النضال الثوري، التي تطورت فيها عصابات الغوار إلى جيش الثورة الذي بوسعه القيام بعمليات عسكرية في أكثر من جبهة.

ثالثاً : من العصابات إلى جيش الثورة

في حزيران ـ يونيه / 1957، كانت هناك استعدادات كبيرة لهجوم قوي يشنه 200 من رجال الغوار الثوريين، مقسمين في رتلين: الأول كان بقيادة فيدل كاسترو مع بقاؤه القائد العام، والرتل الثاني كان بقيادة غيفارا.
وكان قطاع عمل رتل فيدل هو إلى الغرب من جبل توركينو، أما رتل غيفارا فكان إلى الشرق من القمة. وفي المناطق المحررة، أسرعت قوات الديكتاتور لكنها سرعان ما حوصرت من الثوار وقتل منهم وأخذ الباقين كأسرى. وكانت التاكتيكات الذكية من الثوار وقدراتهم على الظهور والأختفاء المفاجئ في أراضي يعرفون طبوغرافيتها بدقة وقد اعتادوا على الحركة فيها، فيما كان العدو لا يستطيع من الاحتفاظ بالأرض وسرعان ما يتركها بعد احتلالها. وكان خوف الجنود يتمثل في خشيتهم أن تكون جبال ماستيرا كلها مليئة بالثوار، لذلك اختل الانضباط في الجيش، وشاع التمرد على الأوامر، والهروب من الخدمة.
ومع الأتساع المتواصل في حجم جيش الثورة، كان من الضروري أيضاً " عزل القش عن الحنطة " ومع تصاعد الوعي عند المقاتلين، كان هناك من يفهم أن الثورة مغامرة، بل وبعضهم اراد ممارسة النهب والاستيلاء على العقارات، ولهذا التحق إلى الثورة. وفي منطقة كاراكاس وإللومون نشطت عصابة إجرام تمارس السطو والتسلط على الشعب بأسم الثورة، وقد ألقي القبض على قائد هذه الزمرة شينو شانك وحكم عليه مع افراد زمرته بالإعدام.
وكان من الضروري في هذه الظروف التعامل بالوسائل القاسية، ضد أي شكل من أشكال الفوضى، وإلا فإن الثقة كانت ستفتقد بين الثوار والشعب.
في ميامي (الولايات المتحدة) كانت قد تأسست جماعة من المهاجرين الكوبيين، كانت تضم ديمقراطيين مثقفين، ولكن أيضاً ممثلي البورجوازية الكوبية، من ضحايا الإرهاب وأساليب النظام الديكتاتوري وعناصره في الجيش وفي أجهزة الإدارة.
وفي مطلع عام 1957 تقدمت هذه المجموعة وبتأثير فعاليات الثورة في كوبا، بتأسيس حكومة لكي يتمكنوا من استلام السلطة بعد سقوط الديكتاتور باتيستا. وفي تموز ـ يوليه / 1957 أرسلت هذه المجموعة من المهاجرين مبعوثان أثنان من قبلهم، إلى جبال سيرا، ليستطلعوا ويتأكدوا فيما إذا كان فيدل كاسترو ورفاقه الثوار على أستعداد أن يعترفوا بهذه الحكومة، وكان ممثلوا المعارضة البورجوازية يؤسسون موقفهم على أساس استبعاد ممثلي الجماهير الشعبية، والشيوعيين، لكي يتمكنوا من استلام ثمرة النضال لمصالحهم، دون إزاحة كامل النظام الاستغلالي.
وكان رد كاسترو على ذلك ذكياً، باقتراحه، وقبل تشكيل مثل هذه الحكومة، ولكنه صاغ بياناً (Manifest) في 12 / يوليه ـ تموز / 1975 الذي أعلن فيه الوحدة لكافة قوى النضالية " كافة القوى السياسية الوطنية، كافة الاتجاهات المدنية، وكافة القوى الثورية، في جبهة وطنية ثورية. ومن بين أهدافها إلى جانب استعادة كافة الحريات والحقوق الديمقراطية، ولكن أيضاً التأكيد على إصلاح الأرض.
وكان التوقيع على بيان / إعلان مشترك كهذا وفي مثل هذه الظروف توفيقاً (Compromise) صحيحاً، وضرورياً، الذي سيساهم في توسيع الثورة، دون خيانة للأهداف الاجتماعية للثورة.

وبعد إعلان البيان، جاء ممثلوا بورجوازية صناعة السكر إلى منطقة سيرا، لأن الكراهية لنظام باتيستا بدأت تحل حتى في أوساط البورجوازية ويرغبون في إزاحة آمنة للنظام، لا تنطوي على مخاطر بالنسبة لهم. ووقعوا سوية مع فيدل كاسترو بياناً، يشبه إعلاناً (Manifest) لكي يلعبوا هذه الورقة في ميامي، (الولايات المتحدة) وهذا يعني أنهم سيذهبون إلى ميامي ويطرحون طلباتهم ومساهمتهم في الحكومة المستقبلية.
لذلك فقد سافروا إلى فلوريدا، وأتفقوا مع مجموعة المهاجرين، ما سمي " تحالف ميامي "(Pakt of Miami) دون أن يشمل حركة 26 / تموز. وهذه المحاولة لجناح البورجوازية في المعارضة، الاحتمال في انشقاق القيادات في الحركة الثورية أمكن تلافيها في خطاب حيوي ومهم لفيدل كاسترو، على هيئة خطاب مفتوح موجه إلى موقعي منظمة التحالف .
أنتقد كاسترو التجمع البورجوازي للمهاجرين، الذين بدلاً من دعم نضال الكوبيين بالمال والسلاح، يكتفون بالحديث عن الثورة. وكانت مساعي البورجوازيين الكوبيين في المنفى (الولايات المتحدة) تتمثل حقاً بخداع الشعب وحرمانه من قطف ثمار نصره، رفض كاسترو أن يكون البديل حكم الطغمة العسكرية رئيس وحكومة نهابين جديدة، وطالب الجميع بأن يقدموا برنامجاً لحكومة مقبلة، ينبغي أن توافق عليه كافة القوى المساهمة بالثورة.

ولكن الأمر الحاسم للثورة ليس الاتحاد بحد ذاته، ولكن ما هو أساس هذا الاتحاد، والشكل الذي يمكن أن تعيش فيه، والنوايا الوطنية وروحه.
وعندما لا يؤمن أمرؤ بهذا الشعب، وعندما لا يثق بطاقته العظيمة وقدراته النضالية، لا يكون لهذا الشخص الحق، أن يضع يده على قدره وقيادته لتحديد مساره، وأن ندعه يحرف مسار ثورة الشعب الدائرة الآن نحو الحياة الجمهورية.

من خطاب لفيدل كاسترو في 14 / كانون الأول - ديسمبر / 1957 إلى الأحزاب المساهمة" حلف ميامي " .

وأشار كاسترو إلى ضرورة إلى تحويل الجيش من خلال القوى المسلحة للثورة، ليكون بالامكان محاسبة كافة مجرمي النظام الديكتاتوري، وأن حركة 26 تموز تنازلت عن المشاركة بالحكومة المؤقتة، ولكنها عرضت وقدمت كافة إمكاناتها المادية والمعنوية. النضال السري، والنضال السري في حبال سيرا، وقبور قتلاهم يمنحهم الحق بأن يوجهوا الشعب وأن يقودوه، لكي يتمكنوا من حل مشكلات الشعب جذرياً.

النجاحات المتنامية لجيش الثورة، عملت على تغير مجمل الأوضاع في كل كوبا.وقام الديكتاتور باتيستا بتشديد الحصار والمراقبة، وفي آب / 1957، حدث إضراب عفوي في سانتياغو، عندما اغتيل فرانك بايس، فوجدت كوبا نفسها في حرب داخلية، يقودها من جهة الديكتاتور بأساليبه الدموية. ومن جانب آخر كان الإرهاب بالقتل والاغتيال لنظام باتيستا، يضخ دائماً بالمناضلين الجدد إلى صفوف الثورة، ومزيد من التعاطف الشعبي معها(الثورة). وبالمزيد من المناضلين وفرت الإمكانية لتأسيس رتلان جديدان: أحداهما بقيادة راؤول كاسترو، والآخر بقيادة خوان المايدا.

في المدن وفي الأراضي المنبسطة، في أرجاء ليانو تصاعدت أعداد المناضلين في العمل السري، وكان عدد النساء يتزايد بين المناضلين سواء في الأعمال التحضيرية أو المساعدة، وفي قيادة العمل للفعاليات ضد النظام الديكتاتوري. وكن فتيات شابات يتولين أمر نقل الرسائل والأوامر والدعوات لعقد اجتماعات سرية، والأخبار عن الاعتقالات.
وفي عام 1957، قمن نساء وأمهات بتنظيم مسيرة احتجاجية طافت شوارع العاصمة هافانا، تطالب بإطلاق سراح أقربائهن. وسرعان ما وجد عدد منهن أنفسهن خلف القضبان، ومع تصاعد القمع والاحتجاج، وجدت شرطة النظام والجنود أنفسهم لم يعد بوسعهم التجول ليلاً في الأحياء العمالية في المدن. وبالعكس كان كل مطارد من السلطات أن يجد لنفسه المأوى هناك، وكان السكان يقومون بإخفائهم وبمساعدتهم.
وقد قام العديد من الشبان بفعاليات قذف القنابل على مراكز للشرطة ومعسكرات الجيش. وتنامى في أرجاء من المدن في البلاد السخط على إرهاب النظام الديكتاتوري، وكان لمصادرة الأراضي تحت " الشبهة " يثير غضب ملاكي الأراضي من المواطنين، فباشر أبنائهم وبناتهم بالاتصال بمنظمات " 26 / تموز " حيثما يجدوهم في مناطقهم. وكانوا يستخدمون سيارات ذويهم في الفعاليات السرية للثورة، وفي نقل الأسلحة والذخائر للثوار، وفي توزيع النشرات، إذ كانت أسماء عائلاتهم وسياراتهم معروفة لشرطة ونقاط السيطرة / حواجز، الديكتاتور بوصفها عائلات مضمونة الولاء.
كما أن ممثلوا من الهيئات الروحية من الكنيسة الكاثوليكية، كانت تقدم المساعدات للثوار، وذلك بالوعظ بشكل علني تقريباً في الكنائس ضد إرهاب النظام الديكتاتوري، وبعضهم كان يساعد في تهريب بعض المعارضين والثوار. وفي مدينة سانتا كلارا أقامت النسوة احتفالاً بثياب الحداد السوداء، بعد مراسم جنازة صلوا فيها على أرواح ضحايا الإرهاب ساروا في موكب، إلا أنهم تعرضوا إلى الضرب المبرح الدموي والتفريق بهراوات الشرطة .

السجون تمتلأ، ودائماً البشر يختفون، أو يغتالون، قد أصبح هنا أمراً يومياً، ودبلوماسي أوربي يقول : أنه لم يعد يستطيع النوم لأن مسكنه بالقرب من مركز للشرطة، ومنها يتناهى كل مساء صرخات البشر الذين يتعرضون للتعذيب.

تقرير من هافانا لصحيفة الموند الباريسية. 31 / أيار / 1958

خلقت هذه المعطيات ظروفاً في كوبا، ساد فيها العداء بين كل فئات المجتمع الكوبي لنظام باتيستا الديكتاتوري وتقربهم من الانتفاضة والثورة، ولم يجد النظام من يقف معه سوى المنتفعين من الطغيان من الفاسدين ممن كانوا يستفيدون من النظام. والجنود كانوا يطيعون ويخافون ضباطهم، رغم أن بين هؤلاء كان من يكره النظام ولم يكونوا موثوقين.
وكان أعوان باتيستا في الجيش وفي الشرطة، يخافون عاقبة ما يفعلون ويدركون كره الناس لهم لذلك كانوا يضربون بلا رحمة، وعبثاً حاول الديكتاتور أن يستخدم الشعارات المعادية للشيوعية وأن يسيئ إلى الثورة وقادتها بأعين الناس، بوصفهم بأنهم " عملاء الشيوعية الدولية "، ولكن موجة الثورة كانت تتصاعد في البلاد بصورة لا يمكن إيقافها.

وعلى الرغم من أن الدمج لم يكن كما ينبغي بين الحركات الثورية في هذا الوقت في مناطق سيرا ولانو، والسبب يكمن في غياب التاكتيكات الموحدة (التنسيق) بين القيادات للحركات الثورية مثل " حركة 26 تموز " وكذلك الانشقاقات بين القوى الثورية في أرجاء البلاد، ومن هنا كانت الحركات الأنفرادية القرار كهجوم تنظيم" مجلس الطلبة " على قصر الرئاسة في هافانا العاصمة في 13 / آذار ـ مارس / 1957، وكذلك لأنتفاضة قسم من البحارة في سينفويغوس في أيلول ـ سبتمبر / 1957 كان مصيرها الفشل، لأنها جرت بدون تنسيق، ولم تصل المساعدات التي كان يأملون وصولها والقوى المحلية لحركة 26 تموز لم تكن لوحدها كافية، للحفاظ على سينفويغوس، والمساعدات من الوحدات القريبة لم تحدث ورفضوا عرض الثوار في الانسحاب إلى جبال سيرا، لذلك لم يكن من بد لاندحارهم الذي كلف كانتفاضة الطلبة الكثير من الدماء والكثير من الشبان الشرفاء الثوريين.
وصعوبة أخرى تمثلت بالعداء للشيوعية المتنامية في الأوساط البورجوازية التي شكلت الجناح اليميني في حركة 26 تموز في لانو التي كان لها صلات وثيقة بالحزب الشعبي الاشتراكي. وكان الشيوعيون المنظمين جيداً يخوضون منذ سنوات نضالاً ضد الإمبريالية والديكتاتورية الرجعية، ومن أجل ذلك كانوا يلاحقون بوحشية من أجهزة السلطة. وشن نظام الطاغية باتيستا بصفة خاصة بعد الهجوم على معسكر المونكادا، حملة تصفية إرهابية ضد الحزب الشيوعي، حزب الطبقة العاملة، على الرغم من أنهم لم يكونوا مساهمين بالعملية أو بالأعمال التحضيرية لها. ولكن الشيوعيين أعلنوا على أية حال تضامنهم مع " الفيديليون " (نسبة لفيدل كاسترو / المترجم) ووضعوا بعضهم نفسه في قمة الكفاح من أجل الحرية(توصل بعضهم إلى مرتبات قيادية في الثورة / المترجم).
وكان الشيوعيون قد عقدوا أيضاً الصلات مع حركة 26 / تموز بعد العفو الذي أرغم عليه النظام الديكتاتوري عام 1955، ولكن الحزب لم يكن مقتنعاً بعد أن الكفاح المسلح هو عنصر جوهري في الاستراتيجية الثورية، وكان الاعتقاد هو أن اضرابات قوية تعقبها انتفاضة مسلحة ترغم الديكتاتور على التخلي عن الحكم .
وأدى الانشقاق في النقابات وتسلط العصابات على قياداتها بحسب النموذج الأمريكي، إلى ضعف الطبقة العاملة، وأضعفت من التأثير الشعبي للشيوعيين، ولذلك فشل الإضراب الذي دعى إليه الحزب الاشتراكي الشعبي في نهاية عام 1955، وأطلقت موجة جديدة من الإرهاب ضد العمال. وبسبب هذه الظروف لم يكن بوسع الطبقة العاملة أن يكون لها الدور القيادي في الثورة.
وكانت مساعي الحرب الاشتراكي الشعبي قد أسفرت عن جبهة وطنية ضد نظام باتيستا، مع حركة 26 / تموز وخاضوا بعض العمليات التخريبية الهادفة المنظمة. رغم أن هذا لم يمكنهم من تفادى الانشقاق في حركة المقاومة، كما أنها أدت إلى نشوء اتجاهات فوضوية في أوساط الشباب، ومن جهة أخرى إلى تنامي نفوذ وتأثيرات الثورة في الجناح اليساري لحركة 26 / تموز، ولا سيما في مناطق الثورة سيرا ماستيرا.
وهنا ابتدأت المرحلة الثالثة من الثورة عام 1957 والصراع المسلح، والتي استغرقت حتى شهر أيار ـ ماي / 1958 واتسمت بالتنسيق بين القوى الثورية الأساسية.

(الصورة : كاسترو ورجاله يخططون لعملية)

رابعاً : تأسيس الجبهة الوطنية الموحدة

وفي العبور إلى عام 1957 ساد نوع من التوازن العسكري بين الثوار وقوات باتيستا. فلم يكون بمقدور قوات الحكومة الصعود إلى معاقل الثوار في سلسلة جبال ماستيرا، كما لم يهبط الثوار من الجبال والابتعاد عن قواعدهم في معاقلهم الجبلية المحكمة.

في منطقة تيرالبري، أمكن تطوير صناعة تموينية بالحدود الدنيا، تولت إمداد الخبز، وإصلاح الأسلحة، وصناعة بعضها (قنابل يدوية) التجهيز، ومطبعة صغيرة لإصدار صحيفة " El Cubano Libre " الكوبيون الأحرار، وكان هناك محطة للتمريض، وحلقة مواصلات، ومنظمات ابتدائية لإدارة أعمال اقتصادية بسيطة .

والمواد المعيشية اللازمة كان يتم شراءها من الفلاحين، وهي لم تكن كافية لرجال يبذلون جهداً وأجسام ما تزال في طور النمو. وقد قام الثوار وكمساهمة في تغطية تلك الحاجات بزراعة بعضها في المناطق المحررة كالفاصوليا والذرة والخضروات، ونقلها بواسطة البغال التابعة للثوار. ويزرعون التبغ لمن يدخن من الثوار، واللحوم كانت يجهزها كبار ملاكي الأراضي، وفي المدن الصغيرة التي كانت على سفوح الماستيرا، كان الثوار يهتمون بتدبير بعض احتياجاتهم مع التجار المتعاطفين مع الثورة، ولا سيما الأدوية في المقام الأول.

ومما كان له أهمية فائقة، كانت الإذاعة " راديو الثورة " (Radio Rebelde) التي سرعان ما بدأ إرسالها يستمع إليها الناس سراً في كافة أرجاء كوبا، والتي لعبت دوراً هاماً في تنظيم النضال السري ضد النظام الديكتاتوري.

والمشكلة الأصعب لجيش الثورة، كان في الحصول على الأسلحة من لانو. والتنقل عبر الأراضي غير الممهدة في جبال سيرا، كان أمراً مرهقاً ولم يكن النقل ممكناً إلا بواسطة البغال أو يتولى حملها المقاتلون على ظهورهم، وتجنباً لهجمات من طائرات، أو من قوات باتيستا، كانوا يضطرون إلى التنقل عبر مسالك ضيقة في الغابات الكثيفة.

ولم يكن هذا إلا جزء من المشكلة، وكان إلى جانب ذلك هناك المناقشات الحامية، بين فيدل وقيادي حركة " 26 تموز " في لانو لأنهم كانوا يريدون استعادة الأسلحة التي قدموها للثورة ليزودوا بها رجال تنظيماتهم السرية. وأخيراً تمكن فيدل من إقناع قادة هذه الحركة في لانو أن إضعاف جيش الثورة سيكون له تأثيره السيئ على الثورة برمتها، وتوصلوا إلى تنظيم إمداد الثورة بالمزيد من السلاح والذخائر.

وكان النقل يتم في صناديق مموهة، حتى سفوح جبال سيرا وهناك بحماية أحد ملاكي الأراضي الكبار من المتعاطفين مع الثورة، وكان فيدل وراؤول يحرصان أيضاً على إنتاج الأسلحة في ورشهم وكانت تتألف بدرجة رئيسية من القنابل اليدوية، وكانوا يحصلون على المتفجرات من ما تقذفه الطائرات من قنابل غير منفلقة.

وفي قضية تجهيز السلاح إلى جيش الثورة في سيرا، كنت هناك خلافات تكتيكية مع قادة حركة " 26 تموز " في لانو، فقد كان الخلاف التكتيكي يدور حول توسيع مناطق العمليات لجيش الثورة، بما في ذلك الاستيلاء على مدينة لانو نفسها، وكان قادة الحركة يرغبون بأن يكون لمناضليهم دوراً في ذلك، ويرغبون الإسراع في بدء المعارك هناك، ومن أجل الحصول على دعم جيش الثورة، كانوا يرغبون بتدخل مباشر وفوري من قبل جيش الثورة في لانو.

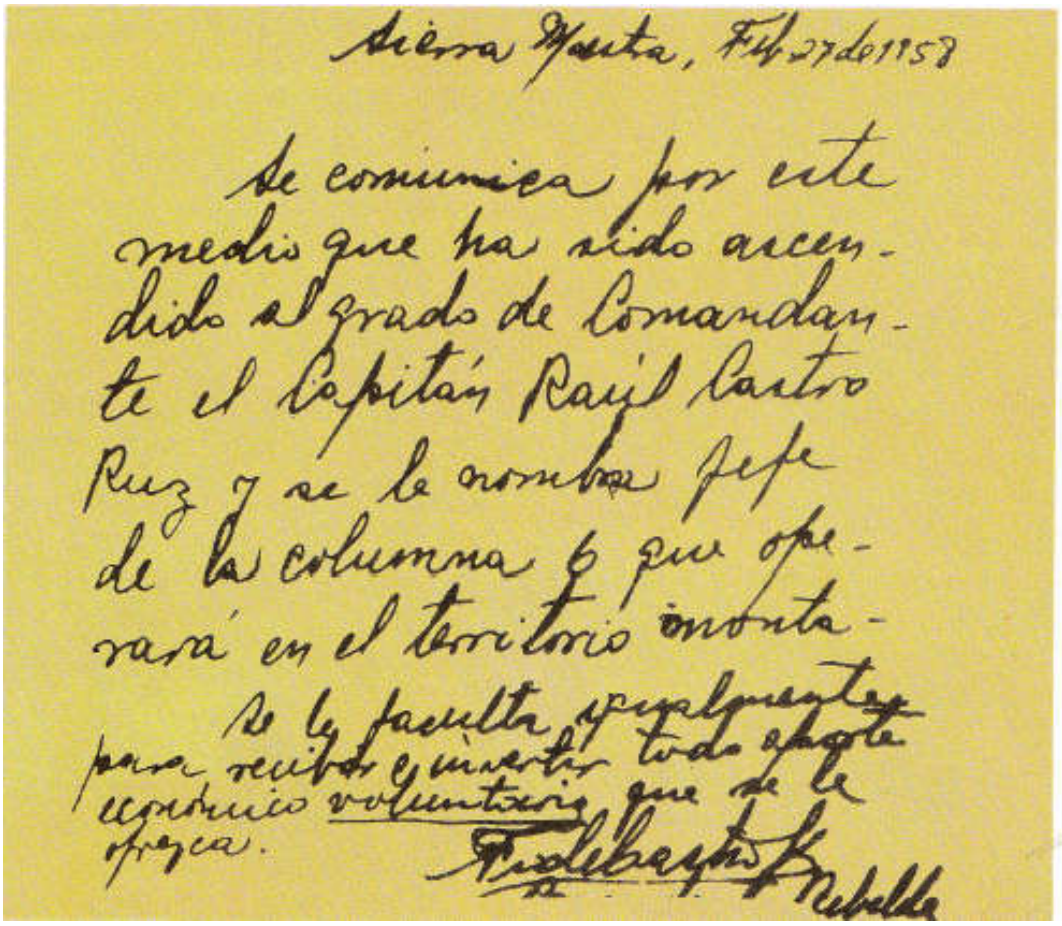
Sierra Maestra, Feb 27 de 1958

Se comunica por este medio que ha sido acendido al grado de Comandante el Capitán Raúl Castro Ruz y se le nombra Jefe de la columna 6 que operará en el territorio oriental.

Se le faculta ampliamente para recibir y aceptar todo ofrecimiento voluntario que se le ofrezca.

Fidel Castro Ruz

(الصورة : تسمية راؤول كاسترو قائداً لجبهة بخط وتوقيع فيدل كاسترو)

وكان قادة 26 تموز يأملون من خلال إضراب قوي يكون بمثابة توجيه ضربة، أن يتمكنوا من إسقاط سريع للسلطة الديكتاتورية وأستلام الحكم.. ولكن توازن القوى كان لما يزل غير مناسبا، إذ لم تكن الجبهة الوطنية المعادية لنظام باتيستا قد تشكلت بعد. رغم أن فيدل كان قد حذر من تقسيم جبهة سيرا، لكنه أوضح لقادة لانو صيف عام 1957 أن يحاولوا القيام بأولى المحاولات القيام بالمحاولات وتنفيذ أولى العمليات، وكانت الخسائر عالية بالاسرى، ثم أنسحاب ضروري وتقييم للعملية والخطط.

وكانت كلتا العمليتان اللتان قام بهما جيش الثورة في شهر مارس / آذار / 1957 من أجل توسيع مناطق العمليات، أوضحت بجلاء أن العمليات العسكرية المتواصلة في منطقة لانو لعمليات العصابات غير مواتية بعد. والنجاح الذي حقق الرتل الذي قاده راؤل كاسترو ضد رتل من العجلات العسكرية كان بالدرجة الأولى بفضل السرعة، والخطة التكتيكية الناجحة للأشتباك والانسحاب من المناطق التي كان يتواجد فيها جنود باتيستا.

وكان الرتل قد وصل إلى فرع لسيرا ديل كريستال في الشمال الغربي لمقاطعة أورينت وأفتتح هناك الجبهة الثانية والتي حملت أسم " فرانك بايس ". وفي نفس الوقت تقدم خوان المايدة إلى المناطق الشرقية لمقاطعة أورينت، الذي أبتدأ هو الآخر عملياته العسكرية بنجاح، وأسس بذلك الجبهة الثالثة.

وكانت هذه العمليات الناجحة دافعاً للديكتاتور باتيستا تصعيد إرهابه من جهة، ومطالبة قيادة لانو الملحة في العمل. وكان من البديهي ضرورة القيام بأستطلاع سياسي، وفعاليات تمهيدية، للجماهير وفي هذا الإطار نادت " منظمة جبهة العمال " التابعة لحركة 26 ـ تموز في التاسع من أبريل ـ نيسان / 1957 إلى الإضراب العام.

(الصورة : من اليسار: راؤل، راميرو فالداس، فيديل، سيرو ريدونو، مقاتل، صورة تذكارية قبيل أفتتاح الجبهة الثانية)

وقامت رئاسة اركان جيش الثورة بتنظيم هذا القرار وأرسلت رتلاً بقيادة كاميلو سينفيغوس لدعم الإضراب في لانو. وأدى قلة التنظيم ورفض قادة نقابات العمال الفاسدين إلى فشل الإضراب، والنتيجة كانت هزيمة مرة لنضال العمال، الذين كان عليهم الآن مواجهة موجة جديدة من الإرهاب، فيما تعين على القائد كاميلو سينفيغوس الانسحاب عائداً إلى جبال سيرا.

في 3 / ماي ـ أيار / 1958 انعقد في جبال سير لقاء مهماً بين قادة حركة " 26 تموز " للخروج بثبات من آثار هزيمة الإضراب العام، وكان ممثلي العمال في الحركة والذين كانوا يمثلون لوحدهم اتجاهاً يعتمد على المغامرات والمجازفات طرحوا برنامجا للانقلاب، ولكنهم واجهوا انتقادات حادة. وكان هذا يتفق مع وجهات نظر الحزب الشيوعي.

ولكن النقد الحاد أصاب قيادة الحركة في بلدة لانو، التي لم يكن بوسعها إقامة تقديرات سليمة لتوازن القوى في البلدة، كما لم يكن بمقدورها أن تعمل وفق الاستراتيجية والتكتيك الثوري لكامل البلاد. وفي خضم هذا الصراع الصعب برزت المقدرة القيادية والمعنوية لفيدل كاسترو، وهيبته ومكانته في الحركة وتأثيره على الكادر وقدرته على تشخيص الأخطاء، وإعطاء رأيه لتصحيحها.

وقد اتخذ قرار حاسم بإعادة تنظيم الحركة : وبتغير المناصب والقيادات في بلدة لانو، وتشكيل سكرتارية عامة لعموم الحركة، التي أستلم فيدل كاسترو قيادتها. وعلى هذا الأساس أصبحت القيادة العامة لكلا الجبهتين العسكرية والمدنية تتمركز في قيادة واحدة مقرها القيادي في جبال سيرا.

(الصورة : فيدل كاسترو مع الفتيات في جيش الثورة وقد قمن بأعمال مجيدة، وأسسن كتيبة خاصة بهن)

وكان هذا وفق الشروط والمقايس الكوبية إجراء صحيحاً، تأسيساً على شخصية وقدرات فيدل كاسترو، والتطور النظري للحركة في مسار الثورة، ولاحقاً فسرت على نحو خاطئ " المثال الكوبي ,, التي أنتجتها البورجوازية الصغيرة ـ الراديكالية في نظرية " حروب الغوار " (Guerillerism) بعد تجربة ثورية ناجحة ولا سيما في أميركا اللاتينية بقيادة محارب غوار، لا بل حتى قبل تأسيس وقيام المنظمة الثورية القائدة، وبالمقابل يظهر لنا إعادة تنظيم حركة " 26 ـ تموز " أن المقدمات الحاسمة لأنتصار الجماهير الشعبية يكمن في تسلحها بآيديولوجية العمالية التي تقود النضال الثوري على قاعدة الأنضباط لجميع الحركات الوطنية المتحالفة المناضلة مع كافة القوى المعارضة الثورية.

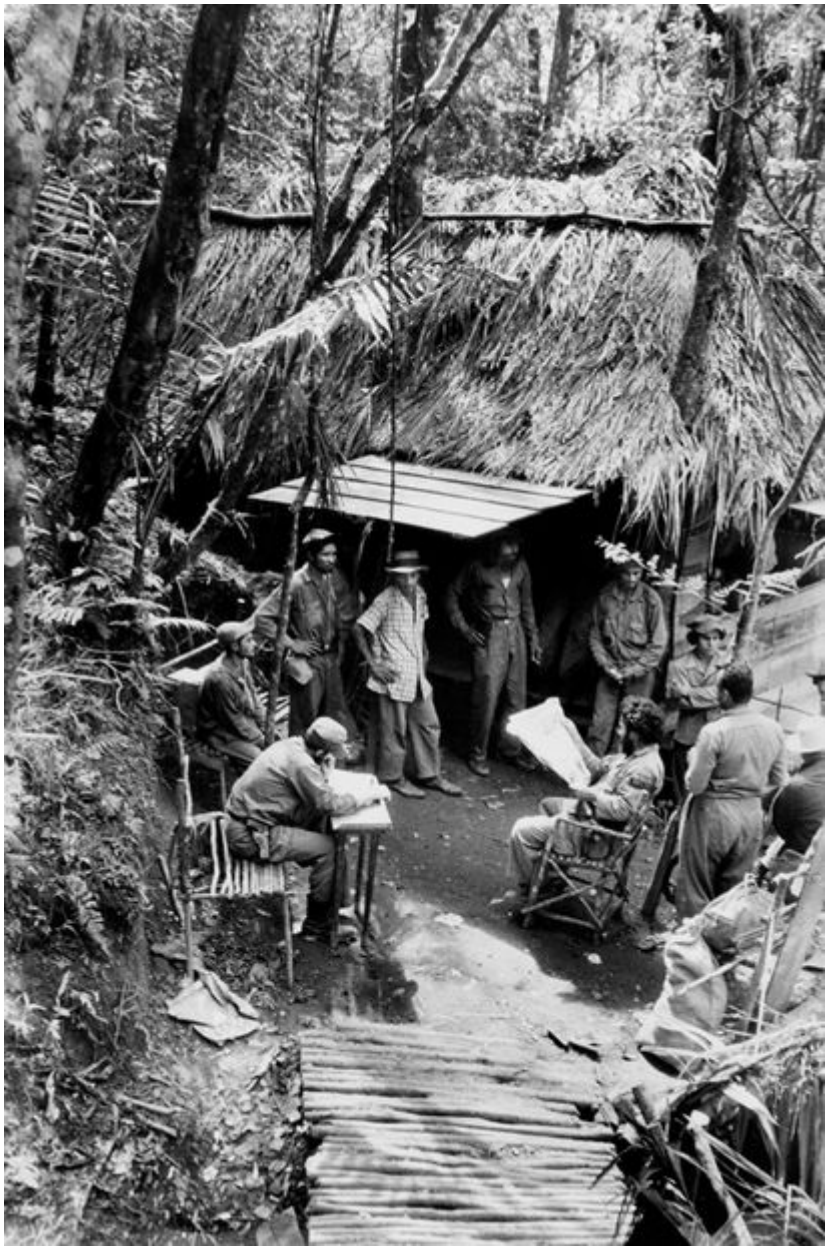

(الصورة : إحدى مقرات جيش الثورة في جبال سيرا)

وعلى أساس من إعادة تنظيم، كانت هناك مقررات حول التنسيق للتحركات والعمليات الثورية في كافة المناطق وكذلك بالعمل مع قوى المهاجرين الكوبيين في الخارج. وأستلمت المناضلة القيادية هايدا سانتاماريا (Haydee Santamaria) مهمة القيام توفير مصادر مالية لدعم الثورة في الخارج (ميامي / الولايات المتحدة).
وكن مجموعة من الفتيات المناضلات المقاتلات في صفوف الثورة إبرزهن : هايدا سانتاماريا، ميلبا هيرنادز، فيلما أسبين، كيليا سانشيز، وقد واصلن الكفاح الثوري الوطني حتى أواخر أعمارهن.
والآن صار بالامكان مواصلة الحرب الثورية عسكرياً وسياسياً، بقيادة فيدل كاسترو، وبهذا أيضاً أستبعد نشوء سياسة مغامرة ضمن الحركة، التي تكلف دماء وضحايا لا طائل منها، كما تضعف الثقة بالنصر لدى السكان في النضال الثوري.
وكسكرتير عام للحركة، وكقائد أعلى لجيش الثورة، بدأ كاسترو الآن يقيم الصلات مع المرشحين لرئاسة الدول من المعارضة البورجوازية الدكتور أوروتيا، الذي كان يقيم في فنزويلا ليتحادث معه بشأن توحيد المواقف السياسية، والعمل على إحباط محاولات البورجوازية من إحداث الانقسامات والانشقاقات في صفوف المعارضة.
ولهذا الغرض أقيمت عبر محطات اللاسلكي للثورة خط أتصال مع كراكاس/ عاصمة فنزويلا، مع أوروتيا الذي يحتفظ بعلاقات ودية من رئيس فنزويلا لارازابال الذي وعد بإرسال طائرة محملة بالسلاح للثوار.
شجع فشل الاضراب العام الديكتاتور باتيستا للتخطيط والقيام بهجوم شامل مضاد على معاقل الثورة في جبال سيرا. وقد حضر لذلك بأن قذفت الطائرات منشورات تعد الثوار بالعفو لمن يسلم نفسه. وقد أفترض الثوار من هذه النداءات بأنهم ينتظرون هجوماً كبيراً، وأتخذوا أستعداداتهم حيال هذا الهجوم المرتقب، وتحسبوا حاجاتهم للذخيرة، والسلاح وغيرها.
في 25 / ماي - أيار / 1958 أبتدأت قوات باتيستا الهجوم. وفي هذا اليوم كان فيدل يتحدث مع الفلاحين حمول حصاد القهوة الذي كان تحت الخطر لأن الجيش لم يكن يدع أحد بمد يد المساعدة للفلاحين في جني محصول القهوة.
أقترح فيدل نظاماً للعمل والمساعدة المتبادلة وأن يساعد المقاتلون الفلاحون. ولكنهم ما كادوا يشرعون في مرحلة التجمع، حتى أبتدأت طائرات السلطة الديكتاتورية مناطق تيراليبرا، وفي نفس الوقت تهيأ عشرات الألوف من جيش الديكتاتور لأقتحام جبال سيرا.
وكان على الثوار الانسحاب لأتخاذ مواضع دفاعية أفضل، على الرغم من أن التوازن في القوى البشرية كان لصالح جيش العدو 1 : 10، بل وتبلغ حتى 1 : 15 ، وأن كان العدو يستخدم الدبابات والمدفعية والطائرات، رغم ذلك لم يتمكن من أحتلال سيرا.
وفي خلال شهرين ونصف من الهجمات خسر العدو أكثر من 1000 رجل بين قتيل وجريح وأسير. كما كان يتصاعد أعداد الجنود الذين يفرون من الجيش ومن ساحات القتال. وفي الهجمات الأخيرة على سيرا، تحطم العمود الفقري لجيش العدو، كما أنهم لم يحرزا النصر، ولم يعد قادة جيشه يفكرون بالتعامل مع الجبهة الثانية في سيرين دي كريستال .

(الصورة : فيدل كاسترو وكاميلو سينفويغوس القائد في الثورة)

خامساً : أنتصار الثوار

في النصف الثاني من عام 1958 بدأت المرحلة النهائية في النضال ضد لنظام باتيستا الديكتاتوري المكروه. وأصبح الثوار يسيطرون في ولاية أورينتا على مساحة قدرها 12 ألف كيلومتر مربع. ويطبق في هذه المنطقة نظاماً جديداً ثورياً، سيكون الأساس في مؤتمر أكتوبر ـ تشرين الأول / 1958 القادم تحت شعار " فلاحين تحت السلاح " والذي سيتم فيه التأكيد فيه على مبادئ إصلاح الأرض، ودخلت إلى الخدمة والعمل 200 مدرسة، كما تأسست 300 مرحلة (صف) في نضال لمحو أمية الفلاحين وابناؤهم. كما تأسست 12 مستشفى، وإذاعة بصوت الثورة، شبكة للاتصالات البعيدة (لاسلكي)، سبعة مطارات، وصحيفة، ومحاكم ثورية لإدانة أذناب وعملاء باتيستا.

وكان عجز الجيش الحكومي التابع للديكتاتور عن الانتصار على الثوار، أعلن عن المصير الحتمي لأنهيار النظام الديكتاتوري. وهذا ما أدركه أيضاً الضباط الكبار في جيشه، الذين بدأوا يفكرون في كيفية حماية ظهورهم. وهنا عرض الجنرال كانتيلو قائد الجيش في منطقة اورينتا على فيدل كاسترو بخلع وإبعاد باتيستا، وكان يأمل أن ينصب نفسه مكانه. واستقبل فيدل مبعوثاً من الجنرال، وأخبره أن على الجنرال أن يلقي القبض على باتيستا، وأن يقدم للمحاكمة.

أما عن السلطة فإن الثوار فقط يحق لهم استلام السلطة، إذ أن الثورة لم تكن حادثاً عرضياً أو أعتيادياً، وهذا لن يكون ممكناً إلا عبر ضرب النظام وتقويض الجهاز الديكتاتوري وقواته.

وأزداد الوضع السياسي للثوار قوة ومتانة وذلك من خلال المساعي في تشديد الصلات القوية مع الشيوعيين كان يتحقق في القيادات العليا. التقى كارلوس ردريغوس عضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي الشعبي مع وفد يمثل الشيوعيين، في سيرا، للتباحث في تنسيق الفعاليات النضالية.

وعدا ذلك، فقد أنظمت بسرعة أعداد غفيرة من أعضاء الحزب، في جيش الثورة، وزادوا من متانة التكوين الآيديولوجي والعسكري لجيش الثورة، وهذا الأتحاد النضالي أصبح الأساس الذي أمكن التغلب على إدانة حركة 16 تموز بمعاداة الشيوعية الذين كانوا يمثلون بثبات أفكار فيدل كاسترو.

على كل حال، سرى هذا التوجه بسرعة وبتفهم تام في صفوف جيش الثورة، أوسع من تلك الدعايات وأفكار الحركة المدنية التي كانت تتألف من عناصر بورجوازية، وأحياناً من الموسرين والأثرياء، وأصحاب الأعمال المتوسطين وأبناء وفتيات من البورجوازية الكبيرة، الذين كانوا يهدفون أيضا إلى إزاحة باتيستا، ولكنهم كانوا يرون في الشيوعية خطر لممتلكاتهم وثرواتهم، وكانوا يمارسون الدعاية المشحونة بالعداء لها.

كانت كوبا في تلك السنوات الملتهبة، تمور بالحركات السياسية، إلا أن أي منها لم يكن بقادر على بسط نفوذه على الشارع، والسلطة السياسية كانت ديكتاتورية فاسدة، وغير مقنعة إلا لفئة ضئيلة من المرتشين والفاسدين. وكان اليسار الكوبي منقسم على ذاته إلى أحزاب وحركات ومجاميع، فقد كانت هناك ثلاث حركات رئيسية : الحزب الشيوعي الكوبي/ الحزب الاشتراكي الشعبي، ثم حركة 26 / تموز الأقرب إلى الثورة المسلحة بقيادة فيدل كاسترو، ولم تقتنع الحركات اليسارية بصورة تامة بنجاح الثورة المسلحة، إلا في أواخر 1958، وبدأت بالالتحام بالثورة كحركات وكأفراد. / **المترجم**

كان باتيستا لما يزل يمتلك التفوق فقط من الناحية الكمية، كان يمتلك الأسلحة بلا رجال، ليقاتلوا بها، لذا لم يكن لها قيمة. لذلك كانت أعداد الجنود تتناقص الذين لم يكونوا على استعداد للقتال، ولم يكن حوله سوى حفنة من كبار الضباط الفاسدين للقتال والموت. وهؤلاء كانوا جبناء، ولم يحدث أن ذهب أحدهم للجبهات ليلقي نظرة على ما يدور هناك.

وحتى أولئك في " قمة المجتمع" الذين كانوا يدفعوه، أعطوه ظهورهم اليوم، فهو يبدو لهم اليوم بأنه عديم القدرة على تحقيق " الهدوء والنظام " في البلاد. والكثير منهم يدفعون الضرائب الآن للثوار ليضمنوا عدم مصادرة ممتلكاتهم.

وفي الولايات المتحدة تزداد الأصوات المطالبة بإعلان عدم كفاية الديكتاتور باتيستا "رجلهم في كوبا" وبتمثيل احتكاراتهم في كوبا والدفاع عنها. وفي مجلس الشيوخ بواشنطن اقروا بعدم مواصلة مساعدته بالأسلحة، لأنها ستسقط لا محالة بأيدي الثوار.

لا بل وضعت حكومة الولايات المتحدة خططاً لمواصلة التباحث مع بورجوازية السكر لإيجاد مخرج من "الأزمة" في كوبا، ولكن تدخلاً مباشراً (غزو) لم يكن يبدو ضرورياً. إذ كانوا يأملون خيراً من البرنامج السياسي للحركة المعادية لباتيستا، واعتمادهم على القوى البورجوازية المشاركة فيها، وعلى التبعية الاقتصادية التامة لكوبا للولايات المتحدة، التي تجعل من المحال إحداث تحولات اجتماعية راديكالية الطابع.

كانت قوى الثوار تتصاعد وتنمو بتواصل ولا سيما من خلال تزايد التعاطف والتأييد الذي كانوا ينالونه من كافة فئات الشعب، فقد كانوا ينالون الدعم من الفلاحين في كل مكان، والذين كانوا يشكلون أيضاً الأكثرية في جيش الثورة.

وفي المدن، كان انحياز العمال، والطلاب، والمثقفين، والبورجوازية الصغير، لصالح الثورة متواصلاً ومتصاعداً، ومساهماتهم في الأعمال الثورية فعالة. وعلى الرغم من الاعتقالات في صفوفهم والتعذيب في المعتقلات، والاغتيالات التي كانت الشرطة السرية لباتيستا تمارسها، التي نفذت القتل بحق 20 ألف شخص حتى نهاية عام 1958، كانت الفعاليات الثورية ضد النظام الديكتاتوري في تصاعد.

في آب 1958 تقدم فيدل كاسترو بمشروع " الخطة الاستراتيجية " القاضية بتوجيه ضربة نهائية للقوى المعادية. وكانت هذه الخطة تنص على تقدم جيش الثورة في ثلاثة محاور :

1. المحور الأول : سانتياغو، تحاط بمرونة من قبل فيدل وراؤل.
2. المحور الثاني : يتقدم رتل كاميلو سينفويغوس صوب بينار ديل ريو.
3. المحور الثالث :يتقدم رتل بقيادة أرنستو غيفارا (وأسمه الحركي ـ تشي Che) صوب لاس فيلاس. والأخير كان عليه أن يتصدى لمهمة عسكرية صعبة، إذ كانت المنطقة

التي سيتقدم بها على تماس من غرب ومن شرق الجزيرة (كوبا)، بعقد مواصلات العدو عليه أن ينهيها، وبنفس الوقت عليه أن ينشئ الصلة والمواصلات بين المجموعات القتالية في منطقة الجبال الصخرية لاس فيلاس.

وكانت مجموعات معارضة شتى تناضل منذ صيف عام 1957، مجاميع غوار، من منظمة الطلاب، وبعض المجاميع المسلحة من حركة 26 تموز، والذين كانوا أحياناً يتنافسان فيما بينهما، وبطموح خاطئ يعتبران هذه المنطقة ك " قطاع نفوذ " لهما. وكان غيفارا يريد أن يجمع هذه التنظيمات في فصائل مسلحة ويوحدهم مع الفصائل المسلحة للحزب الاشتراكي الشعبي في لاس فيلاس.

قام فيدل كاسترو بتعين تشي غيفارا " قائداً لكافة الوحدات الثورية في منطقة لاس فيلاس ". من أجل أن يكون لكل هذه الوحدات قيادة واحدة.

أدرك غيفارا أن رتله يواجه تمركزاً قوياً لقوى الأعداء، وأن الطريق إلى لاس فيلاس يتطلب جهوداً كبيرة، وهنا واجه عناصره من المقاتلين بأنهم أحرار في مواصلة الطريق معه، بعضهم تقدم برجاء البقاء في منطقة الجبال، ولكن الأغلبية الساحقة منهم وافقوا على التقدم معه في المهمة الصعبة، وكان هذا هو أقصى جهد لديهم.

في 30 / أوغست ـ آب / 1958 غادر رتل غيفارا قواعده في سيرا، وتقدم صوب مانزانيلو. وهناك مكث ينتظر سيارة شحن تلك التي سوف تنقلهم. وفي المطار الذي كان يقع غير بعيد عنهم والذي كان محتلاً من قبل رجاله، هبطت طائرة قادمة من فنزويلا تحمل لهم السلاح والعتاد. ولكن العدو أكتشف الطائرة وبدأ بقصف المطار بالمدفعية الثقيلة وفي هذا الوضع شن هجومه، وحوالي الفجر كان يجب إضرام النار في الطائرة لكي لا تقع بأيدي العدو وحتى سيارات الشحن كان يجب أن تحرق، وأستولى جنود باتيستا على سيارة الصهريج، وهكذا لم يعد لدى الرتل محروقات.

وهكذا تعين عليهم مواصلة التقدم غرباً سيراً على الأقدام. وعلى الرغم أن المقاتلون، حصلوا بالقرب من بلدة بايمو على سيارة شحن، لكن لم يكن بالإمكان استخدامها ذلك أن عاصفة قوية وأمطار مرارة بحيث يستحيل السير بها على الطرقات.

ولاجتياز منطقة معينة (Zentralchaussee) التي كانت خطرة جداً، فقد كان عليهم محاذرة قوات العدو المتفوقة، لذا كان عليهم مواصلة التقدم سيراً على الاقدام واستخدام بعض الخيول.

في 9 / سبتمبر ـ أيلول / 1958، اصطدمت مقدمة الرتل ووقعت في كمين للعدو، وكان بوسعهم إبادة العدو، ولكن العدو أكتفى بأكتشافهم وتعقيبهم دون الاشتباك، وسرعان ما ألتحق برتل غيفارا وحدة من رتل القائد كاميلو سينفيغوس وبدأ الرتل المتوحد بمواصلة التقدم غرباً، وكان عليهم الاشتباك ليلاً ونهاراً مع وحدات باتيستا وطيرانه.

وطيلة التقدم ولمدة شهر كامل لم يكن بوسع المقاتلون أن يتناولوا طعاماً حقيقياً سوى أحد عشر مرة، والنوم ليلة كاملة لمرة واحدة، ولكن الجزء الأسوء من التقدم كان أمامهم، عندما توجب عليهم أجتياز منطقة مستنقعات غير مسكون، حيث هاجمتهم أسراب كثيفة من البعوض وكان الرجال يكافحون ضدها، بحال أسوء من العدو الحقيقي.

ربما كان شيئاً يعد من العجائب، أن يتمكن 200 رحل من الثوار الذين يبدون ممزقي الثياب، جياع، ومنهكين لآخر درجة، أن يضعوا جيش باتيستا المحهز بأحدث الأسلحة في مأزق ثم أن ينتصروا عليه. ولكن من الضروري الذكر أولاً، أن الشعب (ولاسيما الفلاحين) كان

يساعد جيش الثورة بقدر استطاعتهم، وثانياً، كان تعبئة كل الموارد، والتضحية بالنفس كانت قد أضحت لدى الثوار من البديهيات، فيما كانت القوى المعنوية للجنود كانت في تراجع متواصل. وكانوا يلاحظون في كل مرة يبشر النظام بنهاية الثورة، يعود الثوار ليهاجموهم فجأة.
تسلم غيفارا القيادة العسكرية في منطقة سيرا ايسكمبراي في نهاية أكتوبر، وقد تمكن برغم الصعوبات الكثيرة، أن يتولى قيادة القوى الثورية في المنطقة ويقود عملياتها، وأن يتفق مع المقاتلين الذين يعملون في جبهة ياغويا، مع مقاتلي الحزب الاشتراكي الشعبي.
وأراد الديكتاتور أن ينصت لنصيحة السفارة الأمريكية في هافانا، بتنظيم "انتخابات" بتاريخ 3 / نوفمبر ـ تشرين الثاني / 1958 في إطار فعالية "ديمقراطية" لإنقاذ النظام. وأتخذ جيش الثورة على عاتقه مهمة الحيلولة دون هذه الانتخابات وإحباطها. فأخذوا يهاجمون الشاحنات التي كانت تعمل على تنظيم الانتخابات، والتنقل، ويدمرونها، ويصدرون النداءات للسكان بمقاطعة الانتخابات، وأطاعت الكثير من الدوائر الانتخابية هذا النداء، وفي ولاية اورينتا (حيث النفوذ القوي للثوار) لم تنعقد الانتخابات أساساً.
في المدن اتسعت ظاهرة الجماعات المسلحة، التي في النضال ضد الديكتاتورية وفي نوفمبر ـ تشرين الثاني، وديسمبر ـ كانون الأول، واخذوا يقطعون الطرقات، وكذلك قطع طرق السكك الحديدية في عدة مناطق. وفي ولاية اورينتا، كانت المواقع التي ما يزال ولائها للنظام الديكتاتوري، تتلقى احتياجاتها من الجو، أو من البحر، وحتى ذلك كان يتعرض تدريجياً لصعوبات متفاقمة. وكان جيش الثورة يبلغ تعداده الآن 300 شخص، عدا رجال الميليشيا، والآلاف من المدنيين ممن يساعدون الثورة.
وكانت قوات باتيستا التي يتعين عليها الآن القتال في أربع جبهات ضد أرتال غيفارا وسينفويغس، وراءول وفيدل، ولم يعد بوسع الجيش القيام بهجمات، ومعنوياته تهبط بين يوم وآخر. وفي النصف الثاني من شهر ديسمبر ـ كانون الأول / 1958غادر رتل غيفارا قواعده في سيرا اسكامبراي وأبتدأ التقدم بالاستيلاء على نقاط الارتكاز في محافظة لاس فيلاس.
كانت الحصون تتساقط واحدة بعد أخرى، بحسب موقف قائدها، أو بعد أيام من القتال الدامي، أو بسرعة شديدة بدون مقاومة، وكان الثوار ينتزعون أسلحة الجنود والضباط، ويعتقلونهم، ثم يطلقون سراحهم ما لم يكونوا متورطين بأعمال قتل، بدون سلاح، ومحتقرين من السكان. فهم لم يعودوا يمثلون خطراً. وهذه الطريقة في التعامل تسببت في أستسلام المزيد من الجنود. والمتطوعين منهم يقبلون في صفوف الثورة.
في 27 / ديسمبر ـ كانون الأول / 1958 ابتدأت بقيادة القائد ارنستو غيفار معركة تحرير سانتا كلارا عاصمة ولاية اورينتا، التي كان يتمركز بها نحو 5000 من جنود العدو. كما عزز قواهم باتيستا بعدد من المدرعات توجهت من هافانا إلى المدينة. وفي الطريق إلى المدينة وقبل الوصول، فر عدد من الجنود من القطار، وتمكن الثوار من إيقاف القطار في محطة ما بين كابيرو ومدينة سانتا كلارا وقذفوا المدرعات بالقناني الحارقة، وأرغموا أعداد المدرعات من الجنود على الاستسلام، وهكذا تمكن 18 رجلاً من أخذ أكثر من 400 من الجنود والضباط إلى الأسر. ووقع بأيديهم 22 عربة، ومدافع، ورشاشات وكميات هائلة من الذخيرة.

" ابتداء من الآن فصاعداً، سنستقدم بواسطة الخيول أو سيراً على الأقدام. يوماً بعد يوم سيكون الأمر أصعب.. سنعبر ضفاف أنهار، وقنوات، ومستنقعات، وأعاصير، وسنجهد أنفسنا بأن نبقي أسلحتنا وعتادنا غير مبللة، وأن نحاول الابتعاد عن مدن أورينتا.
تدريجياً سنصاب بالكآبة، والجوع والعطش والإرهاق، ولكن أيضاً الشعور بانهيار العدو الذي يحاول كل يوم أن يضعنا بين فكي كماشة. الأسوأ هو أمراض القدم التي تصيب كل منا في كل خطوة التي تسبب في إمراض والألأم.
كان وضعنا كارثياً حقاً، حتى تمكنا أخيراً وبجهد كبير تمكنا من النفاذ من الحصار في باراغوا، وكنا بالكاد قد نفذنا، واجهنا عاصفة مطرية هائلة فوق رؤوسنا، في طقس لا يرحم. وكان الرتل ميتاً من التعب، ومعنوياتهم في هبوط متواصل، عندما توتر الموقف، ولمحنا في البعد شيئاً أعاد الرجل إلى الحياة، ومنحهم طاقة وقوة جديدة: عندما ظهرت لنا في الغرب سلسلة جبال لاس فيلاس

غيفارا يتذكر حملة لاس فيلاس

وفي عاصمة الولاية سانتا كلارا قام عدد من الثوار بإضرام النار في ساحة العدل، في فندق، وسجن الولاية، وقيادة الشرطة، وفي معسكر للجيش. ولفت دخان الحرائق أرجاء المدينة وتسمع أصوات الانفجارات وإطلاق الرصاص. وأبدى سكان المدينة ضروب من المساعدة للثوار فأنزلوهم في بيوتهم، وقدموا لهم الطعام والشراب، وأعتنوا بالجرحى منهم ، ووضعوا منازلهم تحت التصرف لأي خدمة.
كان شباب المدينة يقودون الثوار عبر الأسطح إلى أنسب المواقع للتقرب من العدو، ويدلوهم على الأماكن التي يختبأ بها عناصر باتيستا، وبالدرجة الأولى رجال الأمن المكروهين. واستفاد الثوار كثيراً من معلومات السكان عن تحركات السلطة ورجالها. وقدم الكثير منهم خدماته للقائد غيفارا.
الدبابات التي كان النظام الديكتاتوري يضع آماله فيها، ها هي الآن في الشوارع بلا نفع. الرجال النساء، الشباب يبنون المتاريس من أجسادهم، ومن الشاحنات، المقاتلون يقذفون الدبابات بالقناني الحارقة، ويرغمون مستخدميها من الجنود على مغادرتها والاستسلام.
كانت طائرات باتيستا تقصف أحياء في المدينة عشوائياً، التي كان يسكنها المدنيين وأعداد من جنوده ممن تركوا الخدمة في الجيش الحكومي. وحوالي الظهيرة من يوم 1 / كانون الثاني ـ يناير / 1959 استسلمت حامية سانتا كلارا، وبهذا أصبح الطريق إلى هافانا العاصمة حراً بالتأكيد.
وفي الجبهات الأخرى أيضاً، كان جيش باتيستا قد اهتز صموده وقلت مقاومته. واستطاعت الأرتال بقيادة فيدل وراؤول في الأجزاء الشرقية من البلاد أن تغلقها بالكامل، وبذلك أصبحت القوات المتناثرة للنظام هنا وهناك مقطوعة الأتصال، ولا تصلها الإمدادات، وسوف تستسلم في غضون الأيام القليلة القادمة. وفي نقاط كثيرة، كان جنود النظام يسلمون أنفسهم ومواقعهم بدون قتال تقريباً، ففي 2 / يناير ـ كانون الثاني دخل الثوار مدينة سانتياغو مصحوبين بمظاهر الاحتفال من السكان.
والداعم المهم الذي تلقته الثورة وجيشها، كان من الإضراب العام الذي جاء تلبية لنداء أطلقه فيدل كاسترو بتاريخ 31 / ديسمبر ـ كانون الأول / 1958، لوضع سلطة باتيستا تحت

الضغط المتواصل، جاء مصحوباً بمقترح من قبل السلطة بعقد"هدنة" كان يأمل منها أن تحدث الارتباك في صفوف الثوار، وبالتالي إحباط محاولة استلام السلطة من قبل الثوار.
وخلال ساعات تشكلت لجنة لإدارة الإضراب، واجتمع ممثلون عن الحزب الاشتراكي الشعبي، وحركة 26 ـ تموز لتنظيم الإضراب العام التي أصابت النظام بالشلل حتى 3/ كانون الثاني/ 1959 وحرمته من كل فاعلية، مع نداءات للجماهير الشعبية بمساندة الثورة وقواتها.
وتحت هذا الضغط من جميع الأطراف، أنهار نظام باتيستا وأيقن أن نهايته قد حلت. ومارس كل الألعاب التي يمارسها الطغاة الديكتاتوريين الفاسدين من هذا الطراز. وفي صباح يوم 31 / ديسمبر ـ كانون الأول / 1958 ابلغ رئيس أركان الجيش باتيستا بأن لا أمل بعد يرتجى في إيقاف تقدم جيش الثورة إلى العاصمة هافانا.
احتفل الديكتاتور بمناسبة رأس السنة الجديدة في مقر اقامته بالقرب من هافانا، وأقام احتفالية صاخبة من الرقص والشراب وهو ما بدا غريباً للحضور، وفي نفس الوقت كان باتيستا قد وضع طائرة على أهبة الاستعداد، وحوالي الصباح، استقل الديكتاتور الطائرة مصطحباً 20 حقيبة، وضع فيها أموالاً نقدية، ومجوهرات، وأوراق نقدية وسندات، وأشياء ثمينة ذهبية وفضية.
أطلق رحيل الديكتاتور الذعر بين أنصاره، ولحقوا به في هستيريا، وفي المطار أندلع صراع ضاعت فيه الاعتبارات التي أصبحت قديمة من أجل أي مقعد في الطائرة التي تتسع ل 35 شخصاً فقط، ولكن في النهاية دخلها 74 شخصاً، والطيار رفض الإقلاع وكان لابد من إنزال حقائب لتخفيف الوزن، بما في ذلك 10 حقائب تعود لباتيستا شخصياً، حتى تمكنت الطائرة بالإقلاع. وفي الجو دار صراع جديد حول وجهة الطائرة، الضباط كانوا يريدون التوجه بها إلى ميامي /الولايات المتحدة، ولكن الديكتاتور كان يخشى أن يصادف هناك أعداء معارضون له، وكان يريد التوجه إلى سانتو دومينغو عند "صديقه" الديكتاتور" تروخيلو " والذي عامله فيما بعد بقلة احترام، وأخذ منه بضعة ملايين من الدولارات ثمناً للأسلحة التي كان قد أرسلها قبل السقوط كهدية، كما طلب ثمناً لإقامته، وأيضاً للدعم السياسي.

نحن اليوم نعيش لحظة تاريخية في تاريخنا. أن الديكتاتورية قد ضربت، الفرحة هائلة، ودون أدنى شك لدينا بعد الكثير لنفعله، ولا يجوز لنا الاعتقاد أنه سيكون كل شيئ سهل في المستقبل. بل ربما المستقبل سيكون أكثر صعوبة.
فيدل كاسترو : خطاب في هافانا يوم 8 / كانون الثاني / 1959

ولأن لم يكن هناك بلد يقبل بلجوء باتيستا، كلن على الولايات المتحدة أن تبحث له عن مكان، فسعت لدى الحكومة الأسبانية في آب / 1959 للحصول للإقامة في مدريد، حيث خصص له حصن قديم، مكث فيه إلى الأخير. وكان الديكتاتور قبيل فراره قد عين خلفاً له هو الجنرال المحتال كانتيلو الذي كان قد وعد فيدل بأعتقال باتيستا، لكنه لم يفعل ذلك لأنهما كانا من زمرة إجرامية واحدة، وكان هدف الجنرال كانتيلو هو التفاوض مع كاسترو على وقف إطلاق النار، من أجل تسليم السلطة، ولكن في غضون 24 ساعة تم إنهاء كل شيئ فالعواصف الثورية الشعبية كانت تجتاح كل شيئ.

في 2 / يناير ـ كانون الثاني / 1959 وصل تشي غيفارا ودخل برتله إلى هافانا يتبعه بكاميلو سينفويغوس وقاما باحتلال آخر معاقل باتيستا في معسكر كولومبيا الذي يضم عناصر النخبة في الجيش، وتم كل شئ دون أطلاق رصاصة واحدة.
أستقبل شعب العاصمة محرريه بحماس وإعجاب لا يوصف. إذ كان باتيستا ورجاله قد فروا من البلاد، فالمعسكرات ودوائر البوليس لم تعد تبدي المقاومة. ولكن لما يزل هناك بعد من الأعداء من لم يستسلم بعد. الجنرال كانتيلو وبعض الضباط كانوا متوارين عن الأنظار، إذ كانوا ما يزالون يأملون بمساعدة أو نجدة من سادتهم في الولايات المتحدة، وكان هذا يعني اعترافاً سريعاً "بطغمة عسكرية"(Military Junta) تتولى حكم البلاد عبر حكومة مؤقتة، وخرج أنصار باتيستا إلى الشوارع ليلة 1 / 2 يناير ـ كانون الثاني / 1959 يتظاهرون وكأنهم من رجال الثورة، وباشروا بأعمال النهب، من أجل أن يجعلوا السكان ضد الثورة والثوار الحقيقيين.
وعلى الفور بدأ غيفارا وكاميليو بتأسيس مجموعو مسلحة من الثوار، تنزع سلاح أي جماعة لا تنتمي للثورة، كانت تنشط بمساعدة بقايا أنصار باتيستا. وتمكنا بفضل مساعدة شعبية من السكان المدنيين، وأخذت تهاجم بقايا معاقل باتيستا، وأخذوا باعتقالهم ووضعهم في معسكر كابانيا بأشراف رتل غيفارا وباءت بالفشل كافة المحاولات لإعاقة تسلم السلطة من قبل الثورة. واتخذ غيفارا من معسكر كابانيا مقراً وسكنى له، حيث أقام هناك هيئة ركنه، وهنا في هذا المكان أستقبل وبتوسط من كارلوس رفايل رودريغوس في 3 / كانون الثاني / 1959، الرئيس اللاحق لتشيلي: سيلفادور الليندي الذي بمساعدة منه كنائب في برلمان تشيلي عام 1952، أعطى غيفارا رسالة توصية ليتمكن من السفر إلى غواتيمالا.

إلى الشعب الكوبي
هذا الانتصار العظيم للشعب على مضطهديه، ينبغي أن يتعزز ويترسخ بمساعدة الجميع، وبوحدة العمال. إن جيشنا هو جيش الفلاحين، والعمال، والطلاب، والمثقفين، وهدفه يتعدى الحرب، بل إلى إسقاط النظام الطغياني، ولتأمين الديمقراطية للجميع، وأن نتمكن من الحديث والتفكير بحرية، ولنتمكن من إصلاح الأرض وتوزيعها (كما فعلنا في جبال أورينتا ولاس فيلاس)، وأن تكون هناك النقابات الديمقراطية، وأن نضمن حقوق الجميع ونأخذها لهم، ونضمن كافة الإجراءات، الضرورية، لضمان حقوق الشعب.
أيها الشعب : إلى الأمام مع الثورة.
أيها العمال : إلى النضال.
أيها الفلاحون : نظموا أنفسكم ...!
نداء من رتل غيفارا إلى الشعب في 23 / ديسمبر ـ كانون الأول / 1058

وكان اللقاء في كابانيا هو اللقاء الأول للقائد / الرئيس الليندي مع قادة الثورة الكوبية، كقائدين سيلقيان حتفهما في سبيل النضال من أجل قضايا أميركا اللاتينية، بما سيهز الضمير العالمي.
في 8 / كانون الثاني / 1959 دخل فيدل كاسترو بموكب نصر احتفالي بصحبة 1500 مقاتل، على ظهر دبابة من طراز شيرمان وسيارات جيب وشاحنات عسكرية إلى هافانا.

وأستقبل بصورة أحتفالية كان النظام الديكتاتوري قد تحطم وقد ضحى أكثر من 20,000 كوبي بحياته من أجل أن يتمكن 6 ملايين من البشر (سكان كوبا) من العيش في الحرية في هذه الجزيرة وكحدث مهم في تاريخ قارة أمريكا اللاتينية.

ولكن النضال لم ينتهي بإنهاء نظام باتيستا الديكتاتوري، وكان على الثورة والشعب مواصلة النضال خطو فخطوة من أجل الحفاظ على الثورة، وتقديم المنجزات للشعب الكوبي، وتحقيق ما وعدوه من برنامج.

(الصورة : مسيرة النصر في هافانا)

فقرات من برنامج الثورة الكوبية (بالإشارة إلى برنامج خوسية مارتية)

1. **تحقيق وطن حر ذا سيادة.**
2. **تشييد جمهورية ديمقراطية حقيقية.**
3. **تطوير اقتصاد مستقل.**
4. **تطوير الثقافة الوطنية.**

سادساً : النضال من أجل إقامة سلطة الشعب.

الجيش الشعب، والشرطة التي أعيد تنظيمها، أضحت الأساس الذي يعتمد عليه الشعب بحماية مكتسباته ويوفر الامكانية لترسيخ السلطة الشعبية بوجه مؤامرات إحباطها.
وفي هيئة حكومة بورجوازية، وقوى مسلحة، تأسست على هيئة حكومة ذات سيادتين.
أصبحت هذه فيما بعد واضحة تماماً وذلك عندما كانت تبذل المحاولات الحثيثة من الجناح اليميني ل " لحكومة الوحدة الوطنية" وحركة 26 تموز لتخريب الحكومة.
وقد أتخذت الحكومة قراراً بالاجماع بحل أجهزة الأمن، وصرفت 50% من موظفي الدولة، وتسريح كافة اساتذة الجامعة من عناصر باتيستا، وأعادت الشرعية للحزب الاشتراكي الشعبي، ولكن الحكم على 550 من المجرمين أعوان باتيستا من قبل محكمة الثورة أثارت صخباً من قبل اليمين.
العدالة الشعبية "الشيوعية" تطلق حمامات الدم، هكذا كان أعداء الثورة يتهامسون سراً، وسرعان ما سرى ذلك إلى الصحافة الأمريكية، وابتدأت الحملة ضد "الملتحين" الذين لم يكونوا على استعداد، أن يعودوا بعد القضاء على حاكم ديكتاتوري " العودة إلى الحياة الطبيعية " التي تعني أن ديكتاتوراً جديداً سيعتلي المسرح.
ولكن فيدل كاسترو ورفاقه اعتمدوا على العمال والفلاحين والكادحين من الشعب، وعرضوا في الاجتماعات الجماهيرية الكبرى أهدافهم ودعوا الشعب لأن يقرر ويحسم. وفضحوا مكائد اليمين عند بعض ممثلي الحكومة الذين لا يريدون أن يصدقوا على قوانين الإصلاح.
وتحت ضغط الرأي العام أضطر هؤلاء (اليمين الحكومي) للأستقالة في 13 / فبراير ـ شباط / 1959، وأستلم رئاسة الحكومة فيدل كاسترو.وفي دوائر الدول حلت عناصر ثورية وهكذا أمكن البدء بعمليات إصلاح راديكالية. ومن أهم تلك تأسيس معهد دراسات إصلاح الأرض (INRA) التي بدأت تفرض نفوذها على كافة دوائر الدولة، والتي أخذت تخطط لإحلال الصناعة في كوبا أيضاً.
ومن خلال هذه الإجراءات تصاعد الصراع الاجتماعي في البلاد، وشكل كبار ملاكي الأرض بالإضافة إلى الرأسماليين، وعناصر نظام باتيستا مجاميع سرية للثورة المضادة الذين التجأوا إلى جبال اسكامباري ومن هناك شرعوا بتنظيم إعمال تخريبية، وبدأ رجال المخابرات الأمريكية بالأتصال بهذه المجاميع، وتنظيم عمليات أغتيال ضد فيدل وراؤول كاسترو.
في أكتوبر ـ تشرين الأول / 1959 سقط القائد كاميلو سينفيغوس ضحية نتيجة عمل تخريب بينما كان يحلق بطائرة فوق السواحل الكوبية. وبعد ضربة تعرض لها فيدل في 8 / سبتمبر ـ أيلول / 1960، تأسست لجان الدفاع عن الثورة في المدن، والأرياف والمناطق الصناعية، أنظم إليها النساء والفتيات، وتدربن على حمل السلاح وأستلام الحراسات ليلاً ونهاراً. "

نعمل ونقاتل " كان شعاراً، ومن هذه الفعاليات والمجاميع تطورت فعاليات جديدة في نظام الإدارة التي كانت تهتم بشؤون ومشكلات السكان السياسية والاجتماعية.

أهم الإصلاحات الثورة بعد 27/ فبراير ـ شباط / 1959

1. **في إصلاح الأرض :**
   - **مصادرة الملكيات أكثر من 10 ألاف هكتار.**
   - **توزيع الأراضي على 150 ألف عائلة، وتأسيس الجمعيات التعاونية.**
   - **تأميم 2,9 مليون هكتار.**
2. **الإصلاح الاجتماعي :**
   - **تخفيض الإيجارات، مصادرة مساكن أنصار باتيستا، الشروع ببناء المساكن.**
   - **رفع مستوى أقل راتب، توفير أماكن عمل.**
   - **إيجاد التأمين الاجتماعي.**
   - **تأسيس الخدمات الطبية.**
3. **تأميم الثروات الطبيعية.**
4. **تأميم الاحتكارات الأمريكية (1960).**
5. **إصلاح نظام التعليم.**
6. **بناء المدارس.**
7. **محو الأمية (حتى عام 1961).**
8. **إصلاح الهيكلية الاجتماعية.**
9. **دمقرطية النقابات.**
10. **تأسيس الجمعيات الديمقراطية (النساء، الشباب ..الخ).**
11. **تأسيس جمعيات الدفاع عن الثورة (1960).**
12. **تأسيس الحزب 1965**

بضع آلاف من البورجوازيين والأعداء غادروا كوبا واختاروا الهجرة إلى الولايات المتحدة، التي منحت حق اللجوء للعديد من مجرمي نظام باتيستا. وقد أثارت الإصلاحات الثورية حقد الولايات المتحدة على البلاد، فأمتنعوا عن شراء السكر الكوبي، وسحبوا الأخصائيين من مواقع عملهم من المعامل، ولم يعودوا يجهزون كوبا بالنفط، كما امتنعت المصافي الأمريكية من تكرير البترول السوفيتي، لذلك قامت السلطة بمصادرتها.

وبتسليط ضغوط سياسية من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على كافة حكومات أميركا اللاتينية أرغمتهم (عدا المكسيك)على قطع العلاقات الدبلوماسية مع كوبا.وعلى هذا النمط، حاولت الحكومة الأمريكية بأستخدام المساعدات الاقتصادية وصولاً للحصار، كسبيل للضغط على حكومة كاسترو وتركيعها. ولأن هذه الأساليب لم تكن لتثني الحكومة الكوبية عن منهجها، وبفضل المساعدات التضامنية للبلدان الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي، بدأت الولايات المتحدة تخطط لعدوان عسكري مباشر على الثورة الكوبية لتدمير تجربتها.

وباشرت حكومة الولايات المتحدة بقيادة الرئيس جون كنيدي، بالنشاط التخريبي على أراضي غواتيمالا، وذلك بتجهيز قوات عسكرية من المهاجرين الكوبيين والمرتزقة، فقد كانوا يعتقدون أنهم وبعد التدخل العسكري المباشر سيكون بوسعهم تشكيل حكومة في كوبا ستطلب المساعدة العسكرية من الولايات المتحدة.
وبهذه الذريعة اعتقدت الولايات المتحدة سيكون بوسعها ضرب الحكومة الثورية في كوبا وإعادتها إلى العهود الرجعية / الديكتاتورية.
وبعد بضعة هجمات بالقنابل بواسطة طائرات على المطار العسكري في هافانا في 15 / أبريل ـ نيسان / 1961، نفذت قوات الغزو المعتدية إنزالاً من البحر في منطقة خليج الخنازير (Bahia de cochinos) في نقطة (Playa Giron) ولكن الشعب الكوبي الشجاع تمكن من دحر محاولة الاعتداء على بلاده وثورته خلال 72 ساعة فقط... وسخر من خطط المخابرات الأمريكية ووزارة الدفاع (البنتاغون).
كافة سكان المناطق التي تعرضت للغزو، من الشيوخ وحتى طلاب المدارس، كانوا يساعدون القوات المسلحة الكوبية التي أسرعت للتصدي وأحرزت الانتصار على فلول المرتزقة والرجعيين. وبعد مقابلات علنية مع أسرى العدوان، فضحت الحكومة الكوبية دور الولايات المتحدة كمنظم للقوى المعادية للثورة لشن هذا العدوان. كما أوضحت أن بعض الكوبيين يلعبون أدواراً في مساعدة القوى الخارجية ضد بلادهم.
وعندما تأكد الأمريكيون أن عام 1961 هو ليس عام 1954 عندما اسقطوا الثورة في غواتيمالا بواسطة قوى الثورة المضادة وعملائهم في شركات الموز والمتعاونين من الخارج والمرتزقة، فصاغوا عدوانهم هذه المرة بطريقة الغزو المباشر بإدارة مخابراتية أمريكية مباشرة بواسطة سفن من البحر الكاريبي.
وتصرفت الحكومة الكوبية بما يحمي البلاد من اعتداءات أخرى، وتقدمت بطلب الحماية العسكرية إلى الاتحاد السوفيتي وحماية البلاد حتى بتمركز الأسلحة الذرية، وقد نجم عن هذا الوضع معاهدة عسكرية سوفيتية ـ أمريكية، أوضحت الحكومة الأمريكية التهديد، والتزمت من جانبها أية إجراءات عسكرية ضد الاتحاد السوفيتي، إذا سحب الاتحاد السوفيتي أسلحته النووية من كوبا. الحكومة السوفيتي في إطار مصالحها في الحفاظ على السلم الدولي صادقت، بشرط أن يتعهد الرئيس الأمريكي جون كيندي بالتخلي عن كل خطط ونوايا غزو كوبا من جانب الولايات المتحدة الأمريكية.
وبهذا التوافق وجدت أزمة الكاريبي نهايتها في أكتوبر / 1962، ومثلت انتصارا لقوى السلام العالمي، وفي نفس الوقت المقدمات الضرورية للتطور السلمي للثورة الشعبية الكوبية. وتلقت كوبا وبصفة متصاعدة المساعدات الاقتصادية من الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية من أجل التغلب على المشكلات القديمة الموروثة، والتغلب على آثار الحصار.
والبلد الذي كان شبه مستعمرة للولايات المتحدة الذي كان عليه أن يستورد كافة أدوات الإنتاج والقطع الاحتياطية والسلع المستعملة "غالباً" من السوق الأمريكية، الآن عليه لأن يعبأ كل قواه مع استعداد عال للتضحية، وبالمساعدة ا التضامنية للبلدان الاشتراكية من أجل بناء اقتصاد جديد.
في 1 / أيار ـ ماي / 1961 اقترح فيدل كاسترو، بناء الاشتراكية تأسيساً على التجارب الثورية للجماهير الشعبية الكوبية، وتشكل وعيها في خضم نضالها ضد قوى الثورة المضادة

داخ وخارج كوبا، وأن النضال من أجل الإصلاح الديمقراطي بحاجة إلى الخطوة الأولى، من أجل مجتمع حر.
وبهذه الخطوات دخلت الثورة الكوبية مرحلة جديدة من أجل التحولات الاشتراكية، والصلات الأخوية مع البلدان الاشتراكية. وعلى الرغم من توفر الشروط الخاصة للتطور الوطني في كوبا، وأن الثورة الشعبية لم تكن بقيادة حزب الطبقة العاملة مباشرة، ولعبت النظرية الماركسية ـ اللينينية لعبت دوراً حاسماً في النضال في مسارات الثورة في تحديد سيطرة الطبقة العامل ودورها القيادي في المجتمع، ووجدت انطباعها في تأسيس الحزب الشيوعي الجديد.
ويثبت هذا أن ثورة الشعب الكوبي لها خصوصيتها كمسار ثورة تاريخية في حقبة التحولات السياسية والاقتصادية، وتفند الادعاءات أن الثورة الكوبية لم تكن في الواقع سوى ثورة فلاحين، أو ثورة مثقفين.
إن النضال البطولي للشغيلة الكوبية ومتوجة بتأسيس سلطة أعمال والفلاحين أمام " بوابة إمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية وأشرت أن النضال من أجل الاشتراكية يحرز المكاسب وأن قضية حرية الشعوب تنتصر. وأن سلسلة حلقات الهيمنة الأمريكية على قارة أميركا اللاتينية قد تحطمت في واحدة من أهم حلقاتها، وعبر عن أهمية نجاح الشعب الكوبي في نضاله ضمت كفاح أميركا اللاتينية.
وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة تواصل حصارها وتآمرها على كوبا، إلا أن نجاح التجربة يتواصل، والثورة الكوبية تصمد والشعب يلتف حولها.

كانت النقاط الصلبة في نضالنا :

- **الشعب**
- **التجارب التاريخية.**
- **تعاليم مارتيس**
- **مبادئ الماركسية اللينينية.**

كل ما فعلناه وأنجزناه في ظروف نضالنا الصعب
فيدل كاسترو : مؤتمر الحزب الشيوعي الكوبي الأول
هافانا / 1975

ملحق : تشي غيفارا ومصرعه البطولي

أرنستو غيفارا المولود في الأرجنتين، كان قد حسم خياراته منذ مطلع شبابه ومنح روحه للثورة، للمسحوقين في أرجاء العالم، هو كان قد درس الطب، ولكنه مارس طباً من نوع آخر، هو أن يعمل شخصياً على فك الأغلال من أيدي شعوب كاملة تحت الأسر، فذهب إلى القيثتنام، وأنغولا، ثم أستقرت سفينته في بوليفيا، يعتصر الجبال، ليصنع ثورة في ظل ظروف سياسية واجتماعية ونضالية معقدة للغاية، وإن كان عقله وفكرة يتوهج بالثورة، كانت السنين قد أكلت من جسده ومن صحته، ولكن هل يعرف رجل كغيفارا التعب ..؟
في معركته الأخيرة، قرية (فالي غراندا/ بوليفيا) لعب القدر لعبة السخرية، فأصيبت بندقيته برصاصة، ولم تعد صالحة للعمل، وهكذا أمكن لأعدائه ألقاء القبض عليه حياً ..... وهو ما لم يصدقه رفاقه في معقل الثورة ... في هافانا ...
رجال المخابرات الأمريكية لم يصدقوا أي هدية ثمينة وقعت بأيديهم من السماء، بصدفة لا يجود بها التاريخ إلا نادراً، ونادراً للغاية.
قرر الجناة قتله، فأوفدوا جندياً ليقوم بالمهمة القذرة، إلا أن الجندي حالما دخل الغرفة التي اعتقلوا غيفارا فيها، نهض تشي وجلس، وأدرك ماذا ينون فعله، جلس الأسد، والجندي الذي جاء ليقتله لم يقوى على النظر في عينيه، هرب ... فر من هذه المواجهة الصعبة ..!
أرسلوا ضابطاً بعد أترعوه بالخمر، دخل على غيفارا، نهض غيفارا مبتسماً، وقال للضابط المخمور: هيا أطلق النار ... لا تخف ..!
سقط غيفارا ... جالساً على كرسيه، يحاكم القتلة، يعلن أنتصاره في نيل ما يريد، أن يقع صريع القضية، وأن لا يموت بحادث سيارة، أو طائرة، فبصبح بعد سنوات نسياً منسياً ...
شاعر عراقي (شريف الربيعي) كتب قصيدة من ضمنها بيتاً واحداً أضحت من أشهر بوسترات الثورة الفلسطينية : **حين أستطاع أن يضحك عبر الموت .... أرعب ذل الصوت** ...

يصل الخبر إلى هافانا، لم يصدق رفاقه، كيف أستطاع الأوغاد أن يأسروا عاصفة أسمها غيفارا ... هذا أمر لا يصدق أبداً، إلا بعد شاهدوا صور بندقيته مصابة بطلق ناري عطلها عن العمل .. أيقنوا أن الغريب الذي يشبه المستحيل قد حصل ..
كيف ينعيه رفاقه ... من سيقول وبأي كلمات للشعب الكوبي ولأميركا اللاتينية، ولشعوب العالم بأسره، أن غيفار قد مات ... و بأي كلمات ...
ألقى كاسترو خطاباً في الجماهير، أستغرق ساعات، تحدث عن الثورة الكوبية، تحدث عن ثورات العالم، تحدث عن الثوريين، تحدث عن الرجال الأبطال، تحدث عن كل القضية ومحركيها، وأخيراً تحدث عن رفيقه وصديقه ... رفيق غرانما وسيرا ماستيرا، وبطل سانتا كلارا، تحدث وأفاض، وفي ختام كلمته قال كلمة هي جماع روحه:
" لابد أن تشي (غيفارا) قد قضى ساعات مريرة بين أيدي جلاديه، ولكن من منا مؤهل لمثل هذا الامتحان كغيفارا ....."
قرأت هذه الكلمات قبل ثلاثين عاماً ولكني أسطرها اليوم تقريباً كما وردت، وفاء للثورة الكوبية، ولكاسترو، ولغيفارا، فقد وقفوا بالكلمة والبندقية مع شعبنا العربي وقضيته.

ضرغام الدباغ

أرنستو تشي غيفارا
(الصورة : أرنستو تشي غيفارا وقد تحول إلى إيقونة نضال وعمل للملايين من البشر في العالم)

كان غيفارا قد ترك رسالة إلى رفيقه كاسترو .. هي رسالة الوداع، وها نحن نضعها هنا كقطعة من الأدب الثوري الرائع.

رسالة وداع من غيفارا إلى فيدل كاسترو ... نيسان / أبريل 1965

فيدل ...
إني أتذكر في هذه اللحظة أشياء كثيرة... اللقاء الأول بيننا في منزل ماريا أنطونيو حينما دعوتني للأنظمام إليك. الاستعدادات السريعة للرحلة، عندما وجه أحدهم السؤال إلينا : " من هو الشخص الذي يمكن إبلاغه بخبر وفاتكم ؟ " وفي ذلك الوقت أصابنا الذهول ... إذ فوجئنا باحتمال الموت، وقد عرفنا فيما بعد أن موت أي منا كان يمكن أن يحدث في لحظة، وأنه في حالة الثورة، وخاصة إذا كانت الثورة أصيلة.. فلا بد أن ننتصر الإنسان أو يموت.. وغير هذا الطريق المؤدي إلى النصر تركنا الكثير من الرفاق ...

والآن أصبح كل شيء يكتسب طابعاً أقل كآبة وإثارة لأننا أصبحنا أكثر نضجاً..
إلا أن كل شيء يتكرر .. واشعر أني أديت جزءاً من واجبي على أرض كوبا، وإني استأذنك الآن، وأستأذن الرفاق، وأستأذن شعبك الذي أصبح شعبي لأقول لكم جميعاً، وداعاً.

ولذا فإني أتخلى عن منصبي في قيادة الحزب ومنصبي كوزير، ورتبتي العسكرية، وعن جنسيتي الكوبية. إن بلاداً أخرى في العالم تحتاج إلى خدماتي المتواضعة، وإني أستطيع القيام بما تمنعك ظروفك القيام به، لأنك مسئول عن كوبا.

وقد حانت ساعة الفراق، وأريدك أن تعرف أنني أفعل ذلك بمزيج من الرضا والألم، فأنا اترك ورائي أطهر جزء من آمالي وأعز أصدقائي، وأترك شعباً اتخذني أبناً له. وإنني اعفي كوبا من أية مسؤولية إذا حلت نهايتي في مكان آخر، فإن هذا الشعب وأنت بنوع خاص ستكونان موضع تفكيري قبل أن ألفظ نفسي الأخير.

إنني لم أترك شيء مادي لزوجتي وأولادي، ولا اطلب لهم شيئاً الآن، لأن الدولة ستعطيهم ما يكفيهم ليعيشوا ويتعلموا.

كنت أود أن أقول أشياء كثيرة لك ولشعبي، ولكن الآن لا توجد الكلمات التي تستطيع التعبير عن كل ما يجول في خاطري، وعلى ذلك ليس ما يدعو للإسراف في استعمال الورق.

فإلى النصر دائماً ... الوطن أو الموت ... أعانقك بكل ما أمتلك من حرارة الثورة.

Haste la Victoria Siempre

غيفارا